

الجزء الثانى عشر

تأليف

الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين
رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقا

الدكتور
حصة عبد العزيز السويدى
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
جامعة قطر

الدكتور
أمانى موسى شاهين
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بفرع جامعة الأزهر للبنات

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة يوسف ، ١١١]

البكاء على الميت

١٢٨٠ - عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِى سَلَمَةَ قَالَتْ : لَمَّا جَاءَ نَعْىُ أَبِى سُفْيَانَ مِنَ الشَّأْمِ دَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ - رضى الله عنها - بِصُفْرَةٍ فِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، فَمَسَحَتْ عَارِضَيْهَا وَذِرَاعَيْهَا وَقَالَتْ : إِنِّى كُنْتُ عَنْ هَذَا لَغَنِيَّةً ، لَوْلاَ أَنِّى سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « لاَ يَحِلُّ لاِمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ ، إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » .

١٢٨٢ - ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ حِينَ تُوُفِّىَ أَخُوهَا ، فَدَعَتْ بِطِيبٍ ، فَمَسَّتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَا لِى بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ ، غَيْرَ أَنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : « لاَ يَحِلُّ لاِمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ ، إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » .

١٢٨٣ - وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : مَرَّ النَّبِىُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِى عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ : « اتَّقِى اللَّهَ وَاصْبِرِى » . قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّى ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِى ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ . فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِىُّ ﷺ . فَأَتَتْ بَابَ النَّبِىِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ . فَقَالَ: « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ».

١٢٨٧ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قَدْ كَانَ عُمَرُ ﷺ يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ ، ثُمَّ حَدَّثَ قَالَ : صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ ﷺ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ ، إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمُرَةٍ فَقَالَ : اذْهَبْ ، فَانْظُرْ مَنْ هَؤُلاَءِ الرَّكْبُ قَالَ : فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا صُهَيْبٌ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : ادْعُهُ لِى . فَرَجَعْتُ إِلَى صُهَيْبٍ فَقُلْتُ : ارْتَحِلْ ، فَالْحَقْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِى يَقُولُ : وَاأَخَاهُ ، وَاصَاحِبَاهُ . فَقَالَ عُمَرُ ﷺ يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِى عَلَىَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » .

١٢٩٤ – وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « لَيسَ منَّا منْ لَطَمَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » .

١٢٩٦ – وعن أبى بُرْدَةَ بْنِ أَبِى مُوسَى ﷺ قَالَ : وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا فَغُشِىَ عَلَيْهِ ، وَرَأْسُهُ فِى حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنَا بَرِىءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ .

١٣٠٣ – وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِى سَيْفٍ الْقَيْنِ – وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ ﷺ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ » . ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ » .

وقد روى مسلم الأحاديث الآتية :

عَن أُمِّ سَلَمَةَ – رضى اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ : غَرِيبٌ وَفِي أَرْضِ غُرْبَةٍ لأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحَدَّثُ عَنْهُ . فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِن الصَّعِيدِ – من الصحراء – تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدَنِي ، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : «أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ ؟» مَرَّتَيْنِ فَكَفَفْتُ عَنِ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبْكِ .

وعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ – رضى اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا أَوْ ابْنًا لَهَا فِى الْمَوْتِ. فَقَالَ لِلرَّسُولِ : « ارْجِعْ إِلَيْهَا ، فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى ، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ » . فَعَادَ الرَّسُولُ

فَقَالَ : إِنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا . قَالَ : فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ . فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فى شَنَّةٍ – ونفسه تحدث صوتًا يابسًا ، كأنها قربة قديمة متصلبة يضرب عليها فتحدث صوتًا قريبًا من الطبل – فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ . فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فى قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِن عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ ».

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ : اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فى غَشْيَةٍ، فَقَالَ : « أَقَدْ قَضَى ؟ » قَالُوا : لا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا . فَقَالَ : « أَلا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا (وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ) أَوْ يَرْحَمُ » .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى اللَّهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ من الأَنْصَارِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أَخَا الأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟» فَقَالَ صَالِحٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ ؟ » فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ وَلا خِفَافٌ وَلا قَلانِسُ وَلا قُمُصٌ ، نَمْشِي فى تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِن حَوْلِه حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا . فَقَالَ لَهَا : « اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِى » . فَقَالَتْ : وَمَا تُبَالِي بِمُصِيبَتِي . فَلَمَّا ذَهَبَ . قِيلَ لَهَا : إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ ،

فَأَتَتْ بَابَهُ فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ . فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَعْرِفْكَ . فَقَالَ : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ » أَوْ قَالَ « عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ » .

وفى رواية مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ حَفْصَةَ بَكَتْ عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : « مَهْلا يا بُنَيَّةُ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ؟ » .

وعَنْ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فى قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ » .

وعن عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فى قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ » .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَصِيحَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ » .

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ جَعَلَ صُهَيْبٌ يَقُولُ : وَا أَخَاهْ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا صُهَيْبُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ » .

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : لَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مِن مَنْزِلِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُمَرَ فَقَامَ بِحِيَالِهِ يَبْكِي . فَقَالَ عُمَرُ : عَلامَ تَبْكِي ؟ أَعَلَيَّ تَبْكِي ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ لَعَلَيْكَ أَبْكِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ يُبْكَى عَلَيْهِ يُعَذَّبُ » . والعويل رفع الصوت بالبكاء .

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا طُعِنَ عَوَّلَتْ عَلَيْهِ حَفْصَةُ ، فَقَالَ : يَا حَفْصَةُ أَمَا سَمِعْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ ؟».

وَعَوَّلَ عَلَيْهِ صُهَيْبٌ ؛ فَقَالَ عُمَرُ يَا صُهَيْبُ أَمَا عَلِمْتَ « أَنَّ الْمُعَوَّلَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ ؟ » . وفى رواية : « من ينح عليه يعذب » .

وعَن عَبْدِ اللَّه بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ جَنَازَةَ أُمِّ أَبَانَ بِنْتِ عُثْمَانَ ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ . فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُودُهُ قَائِدٌ . فَأُرَاهُ أَخْبَرَهُ بِمَكَانِ ابْنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِي ، فَكُنْتُ بَيْنَهُمَا . فَإِذَا صَوْتٌ مِن الدَّارِ . فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - كَأَنَّهُ يَعْرِضُ عَلَى عَمْرٍو أَنْ يَقُومَ فَيَنْهَاهُمْ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ » .

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كُنَّا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ نَازِلٍ فى ظِلِّ شَجَرَةٍ . فَقَالَ لِي : اذْهَبْ فَاعْلَمْ لِي مَنْ ذَاكَ الرَّجُلُ ، فَذَهَبْتُ ، فَإِذَا هُوَ صُهَيْبٌ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّكَ أَمَرْتَنِي أَنْ أَعْلَمَ لَكَ مَنْ ذَاكَ وَإِنَّهُ صُهَيْبٌ . قَالَ : مُرْهُ فَلْيَلْحَقْ بِنَا ، فَقُلْتُ : إِنَّ مَعَهُ أَهْلَهُ ، قَالَ : وَإِنْ كَانَ مَعَهُ أَهْلُهُ - وَرُبَّمَا قَالَ أَيُّوبُ مُرْهُ فَلْيَلْحَقْ بِنَا- فَلَمَّا قَدِمْنَا لَمْ يَلْبَثْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُصِيبَ فَجَاءَ صُهَيْبٌ يَقُولُ وَا أَخَاهْ وَا صَاحِبَاهْ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ - قَالَ أَيُّوبُ أَوْ قَالَ أَوَ لَمْ تَعْلَمْ أَوَ لَمْ تَسْمَعْ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ » ؟

قَالَ : فَأَمَّا عَبْدُ اللَّه فَأَرْسَلَهَا مُرْسَلَةً - لم يقيدها ببعض - وَأَمَّا عُمَرُ فَقَالَ بِبَعْضٍ . فَقُمْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَحَدَّثْتُهَا بِمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ ، فَقَالَتْ: لا وَاللَّهِ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ « إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَحَدٍ » وَلَكِنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الْكَافِرَ يَزِيدُهُ اللَّهُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَذَابًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ، وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » قَالَ أَيُّوبُ : قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ لَمَّا بَلَغَ عَائِشَةَ قَوْلُ عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ ، قَالَتْ : إِنَّكُم

لَتُحَدِّثُونِّي عَنْ غَيْرِ كَاذِبَيْنِ وَلا مُكَذَّبَيْنِ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ .

وعَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : تُوُفِّيَتْ ابْنَةٌ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِمَكَّةَ. قَالَ : فَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا . قَالَ : فَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ . قَالَ : وَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَهُمَا . قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى أَحَدِهِمَا ، ثُمَّ جَاءَ الآخَرُ ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لِعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ وَهُوَ مُوَاجِهُهُ : أَلا تَنْهَى عَنِ الْبُكَاءِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ». فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَدْ كَانَ عُمَرُ يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ . ثُمَّ حَدَّثَ ، فَقَالَ : صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ مِن مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ . فَقَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ مَنْ هَؤُلاءِ الرَّكْبُ ؟ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ صُهَيْبٌ . قَالَ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : ادْعُهُ لِي . قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى صُهَيْبٍ . فَقُلْتُ : ارْتَحِلْ فَالْحَقْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا أَنْ أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ: وَا أَخَاهْ وَا صَاحِبَاهْ . فَقَالَ عُمَرُ : يَا صُهَيْبُ ، أَتَبْكِي عَلَيَّ ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ ؛ فَقَالَتْ : يَرْحَمُ اللَّهُ عُمَرَ لا وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَحَدٍ » وَلَكِنْ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » . قَالَ : وَقَالَتْ عَائِشَةُ : حَسْبُكُمُ الْقُرْآنُ : وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .

قَالَ : وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عِنْدَ ذَلِكَ : وَاللَّهُ أَضْحَكَ وَأَبْكَى .

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : فَوَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ مِن شَيْءٍ .

وعَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ - رضى اللَّهُ عَنْهَا - قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَحْفَظْهُ ، إِنَّمَا مَرَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ وَهُمْ يَبْكُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « أَنْتُمْ تَبْكُونَ ، وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ » .

وعَن هِشَامٍ عَن أَبِيه قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ يَرْفَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِى قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِه عَلَيْه » . فَقَالَتْ : وَهِلَ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِه أَوْ بِذَنْبِه وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الآنَ » . وَذَاكَ مِثْلُ قَوْلِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْقَلِيبِ يَوْمَ بَدْرٍ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِن الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ : « إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ ما أَقُولُ » . وَقَدْ وَهِلَ إِنَّمَا قَالَ : « إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ » ثُمَّ قَرَأَتْ : إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى . وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ . يَقُولُ حِينَ تَبَوَّءُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ .

وعن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرتها أنها سمعت عَائِشَةَ -- وَذُكِرَ لَهَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ وَلَكِنَّهُ نَسِيَ أَوْ أَخْطَأَ ، إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى يَهُودِيَّةٍ يُبْكَى عَلَيْهَا ؛ فَقَالَ : « إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِى قَبْرِهَا » .

وعَن عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ نِيحَ عَلَيْه بِالْكُوفَةِ قَرَظَةُ بْنُ كَعْبٍ؛ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وعَن مَالِك الأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعٌ فِى أُمَّتِي مِن أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ : الْفَخْرُ فِى الأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِى الأَنْسَابِ ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ » وَقَالَ : « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ – ثوب – مِن قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِن جَرَبٍ » .

عَن أُمِّ عَطِيَّةَ – رضى اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ مَعَ الْبَيْعَةِ أَلا نَنُوحَ فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَةٌ إِلا خَمْسٌ : أُمُّ سُلَيْمٍ ، وَأُمُّ الْعَلاءِ ، وَابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةُ مُعَاذٍ ، أَوْ ابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ ، وَامْرَأَةُ مُعَاذٍ .

وعن أُمِّ عَطِيَّةَ – رضى اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فى الْبَيْعَةِ أَلا تَنُحْنَ فَمَا وَفَتْ مِنَّا غَيْرُ خَمْسٍ مِنْهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ .

وعَن أُمِّ عَطِيَّةَ – رضى اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ ﴿ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ (١) قَالَتْ : كَانَ مِنْهُ النِّيَاحَةُ . قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إلا آلَ فُلانٍ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَسْعَدُونِي فى الْجَاهِلِيَّةِ فَلا بُدَّ لِي مِن أَنْ أُسْعِدَهُمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِلا آلَ فُلانٍ » .

الخلاصة :

لا شك أن البكاء والضحك طبيعة من طبائع الإنسان ، فالإنسان يفرح ويحزن ، وللفرح أعراضه ، وللحزن أعراضه ، وأبرز أعراض الحزن البكاء ، وأبرز أعراض الفرح الضحك والانبساط ، ودمعة العين ليست مظهرًا أو عرضًا فقط ، وإنما هى منفسة عن نفس الحزين ، مبردة لحرارة المصيبة ، مخففة للوعات الفؤاد ، فالبكاء دواء ، وكبته وكظمه فى وقت يحتاجه داء خطير العواقب ، كثيرًا ما يورث عقدة نفسية أو أضرارًا جسمية ، وأشد المصائب موت عزيز ، وفقد حبيب ، لهذا كثر البكاء عند الموت ، وقل أو ندر عند فقد مال أو ضياعه ، أوعند الأمراض والأسقام ربما لأن المال يذهب ويعود ، والأمراض والأسقام تشفى وتزول ، أما الميت فلا يعود .

وأكثر ما يتأثر بالحزن النساء ، لأن عواطفهن تغلب عقولهن ، فهن

(١) الممتحنة – الآية : ١٢ .

أشد من الرجال حساسية ، وهن أسرع وأقوى من الرجال انفعالا . لهذا عرفن بالصراخ والصياح والعويل عند الموت ، واشتهرن بالهلع والجزع والولولة ، وزاد عندهن الأسى ففقدن التوازن والانضباط ، فشققن الثياب ، ولطخن الوجوه بالنيلة والألوان السوداء والزرقاء ، وحلقن الشعور ولبسن السواد ، وشنقن أنفسهن بالخمار ، وتكونت منهن فرق يجدن إثارة الحزن بالكلمات والنغمات والنياحات تدعى هذه الفرق فتجيب ، وتتصنع الأسى واللوعة والحرقة فتلهب حناجر الأخريات وصراخ الباكيات .

وتطورت هذه الظاهرة حتى أصبحت علامة على وفاء أهل الميت لميتهم ومظهرًا من مظاهر معزتهم له ، ورمزا لقيمته عندهم ، حتى قال طرفة بن العبد :

إذا مت فانعينى بما أنا أهله   وشقى علىَّ الثوب يا ابنة معبد

وجاء الإسلام وتلك عادة العرب ، ووجدنا أم سلمة - رضى اللَّه عنها وهى من السابقات إلى الإسلام المهاجرة مع زوجها إلى الحبشة مرتين ثم إلى المدينة -وجدناها حين مات زوجها من جراحة أصابته فى غزوة أحد . وجدناها تقول : غريب وفى أرض غربة ، ولأبكينه بكاء يتحدث به الركبان ، وقامت وتهيأت للصراخ وللألوان ، وأعدت العدة لاستقبال النادبات المساعدات ، ودخل رسول اللَّه ﷺ عليها فوعظها أن لا تفعل ، وقال لها : ما من عبد تصيبه مصيبة فيصبر ويقول : إنا للَّه وإنا إليه راجعون . اللَّهم أجرنى فى مصيبتى ، وأخلف لى خيرا منها . إلا أجره اللَّه فى مصيبته وأخلف له خيرا منها ، قال لها : قولى : اللَّهم اغفر لى وله ، وأعقبنى منه عقبى حسنة . فاستسلمت وكفت عن البكاء والصراخ ، واستقبل النبى ﷺ إحدى المساعدات النادبات ، فقال لها : إياك أن تدخلى الشيطان بيتا أخرجه اللَّه منه ، فلا ندبة ولا عويل .

وأخذ الإسلام ينشر نوره وتعاليمه المتمثلة فى الرضا بالقضاء ، والصبر عند البأساء ، وفى الإيمان بأن كل شىء حتى نفوسنا ملك للَّه ، لقد أرسلت إليه صلى اللَّه عليه وسلم إحدى بناته تخبره أن ابنا لها يموت وفى النزع الأخير ، وتطلب حضوره إليها يواسيها ويخفف عنها وتحصل به البركة والرحمة ، فأرسل إليها يقول : اعلمى أن للَّه ما أعطى ، هو الذى وهبك هذا الولد فتمتعت به أياما ، كان عارية وأمانة لديك ، فإن أخذه فهو حقه وله ما أخذ ، وكل أجل عنده فى كتاب ، فاصبرى واطلبى من اللَّه أن يحسب صبرك عليه فى صحيفتك . فأرسلت إليه تقسم عليه أن يأتيها ، فأتاها ومعه بعض أصحابه ، فرفع إليه الصبى ، فأخذه بين يديه ، فرأى صدره يعلو ويهبط ، ونفسه تتحشرج فى حلقومه ، وأمه بجواره تكاد تموت حزنًا وكمدًا ، فسقطت العبرات على خد رسول اللَّه ﷺ ، وظن الصحابة الحاضرون أن الإسلام ينهى عن البكاء والدمع ، فقال أحدهم : ما هذا يا رسول اللَّه ؟ تبكى ؟ وتنهانا عن البكاء ؟ قال : إنما نهيتكم عن هذا ، وأمسك بلسانه ، أما الدمع فهو أثر الإحساس والرحمة التى جعلها اللَّه فى قلوب عباده ، والمسلم يرحم ، ومن لا يرحم لا يرحم .

ووضع الإسلام قواعده على لسان رسوله ﷺ ، زيارة للمريض ومواساة زيارة من كبير المسلمين لصغيرهم ، وزيارة عامتهم لعامتهم ولسادتهم . لقد أخذ جمعًا من أصحابه لزيارة سعد بن عبادة فى مرضه ، وكان أهله حوله فلما رأوا رسول اللَّه ﷺ تفسحوا له واستأخروا ، ففاض دمعه نابعًا من تأثره وانفعاله ورحمته ، ومرة أخرى شرح لأصحابه : إن اللَّه لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، وإنما يعذب بما فوق هذا من فعل الجاهلية .

ورأى امرأة تصرخ وتولول عند قبر صبى لها فقال لها : اتقى اللَّه

واصبرى فإن الصبر الكامل المستحق للجزاء الوفير هو ما كان على مصاب جلل حين يفاجئ المحبين .

وكان لابد من محاربة عادات الجاهلية ، وأبرزها ما كانوا يعتقدونه من أن المبالغة فى ندبته والبكاء عليه ، والمغالاة فى مظاهر الحزن ينفعه ويعلى من قدره ، فأراد الإسلام أن يغرس فيهم نقيض عقيدتهم ، فقال : « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » فإن كنتم تحبونه فلا تعذبوه بصراخكم « المعول عليه يعذب ، فلا تعذبوا أحبابكم» ، « ومن نيح عليه فإنه يعذب بما نيح يوم القيامة » .

وكان لابد أن يحذر النائحات ، فقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تبعث يوم القيامة وهى تلبس ثيابًا من قطران تصيبها بالجرب .

احذروا معشر المسلمين أربعًا من خصال الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن فى الأنساب ، وربط المطر بالنجوم، ونسيان الذى يرسل السحاب، والنياحة على الموت .

وهكذا حارب الإسلام الهلع والجزع عند الموت ، حارب مظاهر عدم التسليم ومظاهر عدم الرضا بالقضاء .

غرس الإيمان فى نفوس المؤمنين بأن لله ما أعطى ، ولله ما أخذ ، وكل شىء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ، وإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

والبكاء دمع العين ، وقد يصاحبه من القول أو الفعل ما هو مكروه أو حرام .

ولتحرير الأحكام الفقهية نقول :

أولا : حزن القلب ودمع العين من غير أن يصاحبهما سخط على

القضاء ، أو جزع شديد فى القلب ، أو اعتراض نفسى على القدر ، ومن غير أن يصاحبهما قول أو فعل يغضب الرب . هذا النوع لا شىء فيه شرعًا .

على معنى أنه مباح باعتباره مسايرا للطبيعة البشرية ، بل قد يكون ممدوحا شرعا إذا نبع من العاطفة المشروعة ، والرحمة التى أنزلها الرحمن فى قلوب الرحماء ، والتى بها يتراحم الخلق .

ومن هذا القبيل بكاء النبى ﷺ عند موت ابنه إبراهيم ، وقوله : « إن القلب يجزع ، والعين تدمع ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

وبكاؤه صلى اللّٰه عليه وسلم عندما رفع إليه ابن ابنته وهو فى حضرة الموت ، وقوله فى روايتنا الثانية : « هذه رحمة جعلها اللّٰه فى قلوب عباده ، وإنما يرحم اللّٰه من عباده الرحماء » .

وبكاؤه صلى اللّٰه عليه وسلم وبكاء أصحابه عند عيادتهم لسعد بن عبادة وقوله : « إن اللّٰه لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب » .

وبناء على هذا يحمل ما ورد من مؤاخذات على البكاء أو من نهى عنـــــه على أنه لم يكن من هذا النوع ، بل كان مصاحبا لممنوع شرعى ، وإن اختلفت درجات المنع باختلاف الفعل . فبكاء المرأة على قبر صبيها محمول على أنه كان مصاحبا للصراخ والعويل والهلع ، وحال المرأة وردها العنيف على رسول اللّٰه ﷺ وجواب الرسول ﷺ بما يوحى أنها فقدت الصبر قرينة على ذلك .

وبكاء حفصة على أبيها - عمر رضى اللّٰه عنهما . وبكاء صهيب على عمر ، كما جاء فى روايتنا محمول على أنه كان مصاحبا للصراخ

والصياح والعويل

وإذا كان دمع العين وحزن القلب مشروعا عند موت عزيز ، كان من غير المقبول عقلا وشرعا أن يعذب اللّه الميت بفعل مشروع للحى .

فلا يدخل مثل هذا قطعا فى الحديث « إن الميت ليعذب ببكاء الحى » .

ثانيا : أفعال الجاهلية التى ورد النهى عنها وجاء فيها الوعيد الشديد حرام بإجماع العلماء ، بل هى من الكبائر ، ومنها ضرب الخدود ، وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ، ففى الصحيح : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » . رواه البخارى . وعند ابن ماجه وصححه ابن حبان : « أن رسول اللّه ﷺ لعن الخامشة وجهها ، والشاقة جيبها ، والداعية بالويل والثبور » .

ومنها حلق المرأة شعر رأسها ورفع التراب ، والصياح ، والصراخ ، والنياحة والندبة ، والولولة ، وتلطيخ الوجه بالأزرق ، وشنق الرقبة بشق من الثياب ، وغير ذلك كإحداد المرأة أكثر من ثلاث على غير زوج أو أكثر من أربعة أشهر وعشرة على زوج .

فى كل ذلك وردت أحاديث صحيحة ومحتج بها .

ويلحق بهذا إحداد الرجل بإطلاق شعره وشعر لحيته والامتناع عن الغسل وعن أنواع معينة من الطعام والشراب ، ولكن حرمة هذا الأخير لا تبلغ حرمة ما سبق من أفعال النساء .

وكل هذا واضح من الأدلة ، ولا تعارض ولا نزاع فيه . وإنما المشكل فى هذا الباب عذاب الميت بصراخ أهله عليه ، والأحاديث ظاهرها التعارض ، فأحاديث عمر وابن عمر صريحة فى عذاب الميت ،

وأحاديث عائشة رافضة لعذابه ببكاء أهله ، قاطعة بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، والعلماء فى هذا الإشكال يخوضون ، بعضهم يؤيد عمر وابنه ، وبعضهم يؤيد عائشة ، وبعضهم يحاول الجمع والتوفيق .

والذى نميل إليه أن الميت

(أ) يعذب ببكاء أهله من أهمل نهى أهله عن ذلك قبل موته وهو يعلم أنهم لهم بذلك عادة ، ويعلم ما جاء فى النهى عن النوح ، ولا يعذب من ليس كذلك .

قال ابن المرابط : إذا علم المرء بما جاء فى النهى عن النوح ، وعرف أن أهله من شأنهم يفعلون ذلك ، ولم يعلمهم بتحريمه ، ولا زجرهم عن تعاطيه ، فإذا عذب على ذلك عذب بفعل نفسه، لا بفعل غيره بمجرده.

(ب) أو على معنى يعذب ببكاء أهله من أوصى بالنياحة ، ولا يعذب ببكاء أهله من لم يوص ، واعترض عليه بأن من أوصى عذب ، سواء أعمل أهله بالوصية أم لم يعملوا . وأجيب بأن عذابه إن عملوا فوق عذابه إن لم يعملوا .

قال بهذا التأويل كثير من الشافعية وغيرهم . وقال السمرقندى : أنه قول عامة أهل العلم . ونقله النووى عن الجمهور ، وهو مؤيد بحديث : «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها» . وموافق لظاهر قوله تعالى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ (١) ولا يعترض عليه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (٢) فإن العذاب حينئذ على وزر نفسه.

---

(١) سورة العنكبوت – الآية : ١٣ .

(٢) سورة الأنعام – الآية : ١٦٤ .

وقال الحافظ ابن حجر فى ختام بحث هذه المسألة : ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات ، فينزل على اختلاف الأشخاص ، بأن يقال مثلا : من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته ، و بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه ، ومن كان ظالما فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به ، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها ، فإن كان راضيا بذلك التحق بالأول ، وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ كيف أهمل النهى ، ومن سلم من ذلك كله ، واحتاط فنهى أهله عن المعصية ، ثم خالفوه وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم ، من مخالفة أمره ، وإقدامهم على معصية ربهم . والله أعلم .

زيارة القبور

عَن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَن أَبِيهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ : « السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ ...

وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِن الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَلاحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ .

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي - وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي » .

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّه فَبَكَى ، وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي . وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي . فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » .

وعَن عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ مِن آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ . وَإِنَّا

إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ » .

فالأحاديث تدل على استحبابها ، والدعاء لأهلها والترحم عليهم ، قال النووى : اتفقت نصوص الشافعى والأصحاب على أنه يستحب للرجال زيارة القبور ، وهو قول العلماء ودليله مع الإجماع الأحاديث الصحيحة المشهورة ، وكانت زيارتها منهيا عنها أولا ، ثم نسخ ، ثبت فى صحيح مسلم عن بريدة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » . زاد أحمد : « ولا تقولوا هجرا » . وكان النهى أولا لقرب عهدهم من الجاهلية ، فربما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل فلما استقرت قواعد الإسلام وتمهدت أحكامه واشتهرت معالمه أبيح لهم الزيارة. ثم قال : قال أصحابنا : ويستحب للزائر أن يدنو من القبر المزور بقدر ما كان يدنو من صاحبه لو كان حيًا وزاره .

وأما زيارة النساء فالذى قطع به الجمهور أنها مكروهة لهن كراهة تنزيه . وقال بعض المحققين : إن كانت زيارتهن لتجديد الحزن والتعديد والبكاء والنوح على ما جرى من عادتهن حرم . قال : وعليه يحمل حديث : « لعن اللَّه زوارات القبور » رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح. وإن كانت زيارتهن للاعتبار من غير تعديد ولا نياحة كره ، إلا أن تكون عجوزا لا تشتهى فلا يكره كحضور الجماعة فى المساجد . اهـ. واستحسنه الإمام النووى ، ثم قال : ومع هذا فالاحتياط للعجوز ترك الزيارة لظاهر الحديث . اهـ .

والذى تميل إليه النفس أن زيارة النساء للقبور بدافع الاعتبار والدعاء والاستغفار لا تكره مطلقا لذاتها ، أما إذا لابسها شىء من الممنوعات شرعا منعت بالدرجة التى يقوم بها الملابس ، كراهة أو تحريما . ففى الحديث : تسأل عائشة – رضى الله عنها – عما تقول عند زيارتها القبور؟

فيعلها الرسول ﷺ ما تقول : « قولى : السلام عليكم أهل الديار ... إلخ ». فيعلمها
وفى هذا دليل واضح على المشروعية ، وأقلها الجواز وعدم الكراهة .
ثم إن المرأة التى رآها رسول الله ﷺ تبكى ولدها عند القبر لم ينهها رسول الله ﷺ عن الزيارة ، وإنما أمرها بالصبر . مما يؤكد ما ذهبنا إليه من عدم الكراهة، والله أعلم.

قال النووى : قال أصحابنا : ويستحب للزائر أن يسلم على أهل المقابر ويدعو لمن يزوره ولجميع أهل المقبرة ، والأفضل أن يكون السلام والدعاء بما ثبت فى الحديث ، ويستحب أن يقرأ من القرآن ما تيسر ، ويدعو لهم عقبها . ونص عليه الشافعى واتفق عليه الأصحاب ، ولا يستلم القبر بيده ، ولا يقبله ولا يمسح القبر ، ولا يمسه، فإن ذلك عادة النصارى. وقد صح النهى عن تعظيم القبور ، وصح فى ذلك الوعيد الشديد .

لقد شرع الله زيارتها ، والاتعاظ بمن فيها ، لقد وجدوا ما وعدهم ربهم حقًا ، ولم يبق معهم سوى عملهم ، ونحن على الطريق سائرون ، وإلى ما انتهوا إليه منتهون ، فقط نحن مؤجلون ، لكننا لا محالة لاحقون .

نزورهم إذا تذكرناهم ، ونزورهم إذا ودعنا إليهم من لحقهم ، فماذا نقول فى زيارتنا لهم ؟ راجين أن يقول لنا مثله من بعدنا إذا صرنا معهم ؟ السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين نحن إلى غد مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . نسأل الله لنا ولكم العافية .

اللّهم إنهم فارقوا من كانوا يحبون ، وخرجوا من الدنيا وسعتها إلى ضيق القبر وعذابه . اللّهم إنهم نزلوا بك وأنت خير منزول به ، إن عاقبتهم فبذنبهم ، وإن عفوت عنهم فأنت أهل العفو ، وأنت غنى عن عذابهم ، وهم فقراء إلى رحمتك ، اللّهم من كان محسنا منهم فاشكر حسنته وزد فى إحسانه ، ومن كان مسيئًا فاغفر له وتجاوز عن سيئاته .

اللَّهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم . وأسبغ علينا وعليهم رحمتك يا أرحم الراحمين .

انتهاء الدنيا

ولكل من الأحياء أجل ، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] .

حتى إذا أراد الله نهاية هذه الدنيا أمر إسرافيل أن ينفخ فى الصور ، فيموت كل حى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [2]. قال المفسرون : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت – عليهم السلام – ، قيل : هم وحملة العرش ، وقيل : هم ومعهم موسى عليه السلام اكتفاء بالصعق الذى جرى عليه فى الطور . كما فى الحديث :

٦٥١٧ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : اسْتَبَّ رَجُلَانِ ، رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ الْمُسْلِمُ : وَالَّذِى اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ . فَقَالَ الْيَهُودِىُّ : وَالَّذِى اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ ، قَالَ : فَغَضِبَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِىِّ ، فَذَهَبَ الْيَهُودِىُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تُخَيِّرُونِى عَلَى مُوسَى ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ فِى أَوَّلِ مَنْ يُفِيقُ ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِى أَكَانَ مُوسَى فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِى ، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ » .

---

(١) سورة الأعراف – الآية : ٣٤ .

(٢) سورة الزمر – الآية : ٦٨ .

٦٥١٨ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعَقُونَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ ، فَمَا أَدْرِى أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ » .

﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ (١).

ثم يموتون ، حتى ملك الموت ، يؤتى به فيذبح ، كما يصوره الحديث :

٤٧٣٠ – عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، ثُمَّ يُنَادِى يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هذا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ وَهَؤُلاَءِ فِى غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢) .

حتى إذا مات جميع الأحياء ولم يبق إلا الله قال سبحانه وتعالى : أين الملوك ؟ لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيقول : لله الواحد القهار .

ويقبض الله الأرض ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يبدل الله الأرض غير الأرض ، ويخلق أرضًا مستوية ، لا عوج فيها ولا أمتا .

وجمهور العلماء على أن عذاب القبر قاصر على سؤال الملكين

---

(١) سورة النحل – الآية : ٧٧ .

(٢) سورة مريم – الآية : ٣٩ .

وتعذيبهما ، ثم ينام الميت حتى البعث .

والكفار وغيرهم كانوا يستبعدون البعث ، ويقولون : إن هى إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر ، ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾ (١) .

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٢) .

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٣).

وقوم إبراهيم عليه السلام كانوا ينكرون البعث ، وأراد إبراهيم أن يريهم بعثًا بعد موت فقال لربه : ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ ﴾ (٤) .

وجاء إبراهيم عليه السلام بأربعة من الطير ، وذبحها ، وقطعها قطعًا ، ثم جعل على كل جبل منهن قطعة ، وأمسك فى يده برءوسهن ، ثم دعاهن ، فانضم كل ريش واحدة إلى مكانه ، وكل قطعة تماسكت مع أختها ، ثم جاءت أجسامهن إلى إبراهيم سعيًا بدون رءوس ، وأمسك كل طير برأسه التى فى يد إبراهيم .

ومثل هذه القصة قصة النباش الذى كان ينبش القبور ويسرق الموتى . والتى يصورها الحديث :

---

(١) سورة ق – الآية : ٣ .

(٢) سورة الواقعة – الآية : ٤٧ .

(٣) سورة المؤمنون – الآية : ٣٧ .

(٤) سورة البقرة – الآية : ٢٦٠ .

٣٤٥٢ - « إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ ، فَاجْمَعُوا لِى حَطَبًا كَثِيرًا ، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِى ، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِى ، فَامْتَحَشْتُ ، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا - أى شديد الرياح - فَاذْرُوهُ فِى الْيَمِّ . فَفَعَلُوا ، فَجَمَعَهُ فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ . فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ » . قَالَ عُقْبَةُ ابْنُ عَمْرٍو : وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَاكَ ، وَكَانَ نَبَّاشًا .

البعث :

وتبقى الأجسام فى مقابرها وقد تغيرت وتحللت وتحولت إلى عناصر أخرى ، وتفتت ، وصارت ذراتها مختلطة بالتراب وغيره ، لكن الذى خلقها أول مرة عالم بها وبأمانها ، قادر على جمعها وإعادتها عندما يشاء .

نعم . عندما يشاء يأمر السماء أن تمطر ، فتنبت الأجسام كما ينبت الزرع ، وتدخل الأرواح فيها ، ويقوم الناس لرب العالمين ، يقولون : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ وتجيبهم الملائكة : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

الحشر :

يخرجون من الأجداث والقبور سراعًا كأنهم إلى اجتماع مأمورون ، يخرجون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، يخرجون حفاة عراة غرلا - غير مختونين ، من ختن فى الدنيا عادت إليه القطعة التى كانت قطعت . يحكى هذه الصورة الحديث :

٦٥٢٧ - عن عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا » قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ : يا

رَسُولَ اللَّهِ ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؟ فَقَالَ : « الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ » .

يحشرون ويمشون على أرض مستوية كأنها قطعة من الفضة حتى يصلوا إلى ساحة الموقف العظيم ، فيقفون ، يحشرون على أرض ليست عليها علامة ، ولا بناء ، ولا ترى فيها عوجًا ولا أمتا . ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [1] ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] .

يقفون فى ساحة الموقف العظيم ، وفى حديث عند الحاكم : « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة ، فيعرق الناس ، فمنهم من يبلغ عرقه عقبه ، ومنهم من يبلغ نصف ساقه ، ومنهم من يبلغ ركبته ، ومنهم من يبلغ فخذه ، ومنهم من يبلغ خاصرته ، ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ فاه ، ومنهم من يغطيه عرقه » .

وعند مسلم : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق ، حتى تكون كمقدار ميل ، فيكون الناس على مقدار أعمالهم فى العرق » .

وعند أحمد وابن حبان : « يحشر الناس قيامًا أربعين سنة ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، فيلحقهم العرق من شدة الكرب » .

وعند أحمد و ابن حبان « يحشر الناس قيامًا أربعين سنة ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، فيلجمهم العرق من شدة الكرب » .

وعند ابن حبان : « يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من

---

(١) سورة الصافات – الآية : ١٩ .

(٢) سورة النازعات – الآيتان : ١٣، ١٤ .

خمسين ألف سنة فيهون ذلك على المؤمن ، كتدلى الشمس إلى أن تغرب » .

وعند البيهقى : « يشتد كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق » ، قيل له : فأين المؤمنون ؟ قال : « على كراسى من ذهب ويظلل عليهم الغمام » .

وعند ابن حبان : « إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة ، حتى يقول : يا رب . أرحنى ولو إلى النار » .

الموقف العظيم والشفاعة :

٦٥٦٥ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ : لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا . فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقُولُ - ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ . فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ - ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِى اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا . فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ - ائْتُوا مُوسَى الَّذِى كَلَّمَهُ اللَّهُ ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ - ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَأْتُونِى ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأَحْمَدُ رَبِّى بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِى ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِى حَدًّا ، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِى الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ ، حَتَّى مَا بَقِىَ فِى النَّارِ إِلاَّ مَنْ

حَبَسَهُ الْقُرْآنُ » . وكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا أىْ وَجبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ » قَالُوا : لا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ » قَالُوا : لا . يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ . يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ . فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ . وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ . وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ – الطواغيت جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم – وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا . فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ... فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فَيَتَّبِعُونَهُ . وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ . فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ . وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ . وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ! سَلِّمْ ، سَلِّمْ ...

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « نَعَمْ ». قَالَ: « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ » قَالُوا : لا . يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا . إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ . فَلا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ ، إِلا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ . حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ . ... أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ...

الصراط

ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ . وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ . وَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ! سَلِّمْ سَلِّمْ » . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ . تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ . فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ . فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ . وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ . وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ...

وأما ما قبل الصراط من أمور الآخرة فقد تعرض الحديث لنهاية الحشر والموقف العظيم ، حين يؤذن المؤذن : «ليتبع كل أمة ما كانت تعبد» «من كان يعبد شيئا فليتبعه» فيتمثل لهم ما كانوا يعبدون ، فيتمثل لصاحب الصليب صليبه ، ولصاحب التصاوير تصاويره» ، «فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، فيقذف بهم وبمعبوداتهم فى النار» . «فلا يبقى أحد كان يعبد غير اللّه - سبحانه - من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار ، ومصداقه من القرآن قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1] حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللّه من بر وفاجر

أما المنافقون فإنهم يتأخرون مع المؤمنين ، ويعطى كل واحد منهم نورا مع المؤمنين لما كانوا يظهرونه من الإسلام ، وهم يظنون أن تستر هم بالمؤمنين ينفعهم فى الآخرة ، كما كان ينفعهم فى الدنيا ، لكن اللّه يميز المؤمنين حين يتجلى لهم سبحانه «فلا يبقى من كان يسجد للّه من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل

---

(١) الأنبياء - الآية : ٩٨ .

اللَّه ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه» . «ثم يطفأ نور المنافقين» حين يتجهون إلى الصراط ، فيقول المنافقون للذين آمنوا : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا ﴾ (١) فيرجعون إلى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيئا ، فيندفعون إلى النار .

٣- **وأما عن الصراط وأحوال الناس عليه فإنه يضرب الصراط** بين ظهرى جهنم فيكون نبينا ﷺ هو وأمته أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم . سلم . وفى جهنم تحت الصراط كلاليب مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا اللَّه ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقى بعمله (لا يخطف) ومنهم المجازى حتى ينجى «من المؤمنين من يمر» (على الصراط) كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ، ومخدوش مرسل (ينجو بعد الإصابات) ومكدوس (مركوم) فى نار جهنم» .

هذا ما ورد عن الصراط ، وقد جاءت بعض الروايات بزيادات فى وصفه ووصف الكلاليب ، وفى رواية لأبى هريرة «وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به» وفى رواية «عليه كلاليب النار» وفى مرسل عبيد بن عمير «أن الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب وأنه يؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر» وفيه «والملائكة على جنبتيه يقولون : يارب سلم . سلم» وعند مسلم قال أبو سعيد : «بلغنى أن الصراط أحد من السيف ، وأدق من الشعرة ، وأخرج ابن المبارك عن سعيد بن أبى

---

(١) الحديد – الآية : ١٣.

هلال قال : «بلغنا أن الصراط أدق من الشعر على بعض الناس ، ولبعض الناس مثل الوادى الواسع» وعند الحاكم من حديث عبد اللَّه بن سلام» ثم ينادى مناد أين محمد وأمته ؟ فيقوم ، فتتبعه أمته ، برها وفاجرها ، فيأخذون الجسر ، فيطمس اللَّه أبصار أعدائه ، فيتهافتون عن يمين وشمال ، وينجو النبى ﷺ والصالحون» وفى حديث ابن عباس يرفعه «فيفرج لنا الأمم عن طريقنا ، فنمر غرا محجلين من آثار الطهور ، فتقول الأمم : كادت هذه الأمة أن يكونوا أنبياء» وللترمذى من حديث المغيرة «شعار المؤمن على الصراط : رب سلم . سلم» وأخرج ابن عساكر عن الفضيل ابن عياض قال : «لايجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية اللَّه» . وفى حديث ابن مسعود «ثم يقال لهم : انحوا على قدر نوركم ، فمنهم من يمر كطرف العين ، ثم كالبرق ، ثم كالسحاب ، ثم كانقضاض الكوكب ، ثم كالريح ، ثم كشد الفرس ، ثم كشد الرحل ، حتى يمر الرجل الذى أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ، يجر بيد ويعلق بيد، ويجر برجل ويعلق برجل ، وتضرب جوانبه النار حتى يخلص» وفى أخرى عن ابن مسعود بعد الذى يمر كالريح «ثم كأسرع البهائم ، حتى يمر الرجل سعيا ، ثم مشيا ، ثم آخرهم يتلبط على بطنه ، فيقول : يارب . لم أبطأت بى ؟ فيقول : أبطأ بك عملك» .

من هذا كله يتبين أن عصاة المؤمنين يسقطون فى النار ، ولا خلاف بين العلماء فى سقوط من لم تشملهم رحمة اللَّه من مرتكبى الكبائر ،

ولكن الخلاف الكبير فى إخراج العصاة من النار بعد أن يدخلوها ، فمذهب المعتزلة أن أصحاب الكبائر مخلدون فى النار ، ومذهب الخوارج أن أصحاب الكبائر كفار يخلدون فى النار .

«حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين العباد ، وأريد أن يخرج برحمته

من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئا ، ممن أراد اللَّه تعالى أن يرحمه ، ممن يقول : لا إله إلا اللَّه ، فيعرفونهم فى النار ، يعرفونهم بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل» .

وفى رواية : يشفع المؤمنون الناجون لإخوانهم الذين فى النار يقولون : «ربنا كانوا يصومون معنا ، ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيرًا ، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا ، ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرًا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا . ثم يقولون : لم نذر فيها خيرا. فيقول اللَّه عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار ، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ، قد عادوا حمما ، فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة ، يقال له : نهر الحياة؛ فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ، فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة فيقولون: هؤلاء عتقاء اللَّه ، الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه» .

«أما أهل النار الذين هم أهلها . فإنهم لا يموتون فيها ولايحيون ،

ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة . ثم قيل : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل» .

رواية : «إن قوما يخرجون من النار ، يحترقون فيها إلا دارات وجوههم ، حتى يدخلون الجنة» .

ولما كان ظاهر رواية أن الملائكة هى التى تخرج من النار ، وظاهر رواية أخرى أن المؤمنين هم الذين يخرجون إخوانهم؛ رفع هذا التعارض بأن الملائكة يؤمرون من الأنبياء والمؤمنين ، فيباشرون الإخراج ، يعرفون المؤمنين بآثار السجود . قال الزين بن المنير : تعرف صفة هذا الأثر مما ورد فى قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ (١) لأن وجوههم لا تؤثر فيها النار ، فتبقى صفتها باقية .

وقد اختلف العلماء فى المراد بأثر السجود ، فذهب النووى إلى أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة . وهى : الجبهة واليدان والركبتان والقدمان ، وبهذا جزم بعض العلماء . وذهب القاضى عياض إلى أن المراد الوجه خاصة . بدليل قوله فى رواية : « يحترقون بها فيها إلا دارت وجوههم » .

عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهتَمُّونَ لِذَلِكَ - وفى رواية : (فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ) فَيَقُولُونَ : لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا! قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْخَلْقِ . خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخ

---

(١) سورة الفتح - الآية : ٢٩ .

فِيكَ مِنْ رُوحِهِ . وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ . اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ . فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا . وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا . أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ . قَالَ فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا . وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلا . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا . وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى ﷺ . الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ . قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ. فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا . وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ . فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ . عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَيَأْتُونِي . فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي. فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا. فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ . فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ . قُلْ تُسْمَعْ . سَلْ تُعْطَهْ . اشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِي . فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي . ثُمَّ أَشْفَعُ . فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا . فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ! قُلْ تُسْمَعْ . سَلْ تُعْطَهْ . اشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِي. فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ . ثُمَّ أَشْفَعُ ...

عَنْ مَعْبَدِ بْنِ هِلالٍ الْعَنَزِيِّ قَالَ : انْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ . فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى . فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ . فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ. وَأَجْلَسَ ثَابِتًا مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا حَمْزَةَ! إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ . قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ :

« إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ . فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ : اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ . فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا . وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام . فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ . فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا . وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلام . فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ . فَيُؤْتَى مُوسَى فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا . وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلام . فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ . فَيُؤْتَى عِيسَى . فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا . وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ . فَأُوتَى فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا . فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي . فَيُؤْذَنُ لِي . فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ . يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ . ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا . فَيُقَالُ لِي : يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ . وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ . وَسَلْ تُعْطَهْ . وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ...

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ . فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ . فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ . فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ . وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ . وَمَا لا يَحْتَمِلُونَ . فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَلا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : ائْتُوا آدَمَ . فَيَأْتُونَ آدَمَ . فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ . خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ . وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ . نَفْسِي . نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ . فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ . وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟

فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي . نَفْسِي . نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ . نَفْسِي . نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى . فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ . فَضَّلَكَ اللَّهُ ، بِرِسَالاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ ، عَلَى النَّاسِ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا . نَفْسِي . نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ . فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ . فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا . نَفْسِي . نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ . فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ . وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي . ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي . ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ . سَلْ تُعْطَهْ . اشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ : يَا رَبِّ! ...

عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ

ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ . فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ . وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ فَنَهَسَ نَهْسَةً فَقَالَ : «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى فَقَالَ : «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لا يَسْأَلُونَهُ قَالَ : «أَلا تَقُولُونَ كَيْفَهْ ؟» قَالُوا : كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ السابق . وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ : وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ : {هَذَا رَبِّي} . وقَوْله لآلِهَتِهِمْ : {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} . وقَوْله : {إِنِّي سَقِيمٌ}...

عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وَعَنِ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ . فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ . فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ . اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ . قَالَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ . إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ . اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا . فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ . اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ . فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ . فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ . فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ . وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ...

تحدثـًا بنعمة اللّه تعالى ، واعترافـًا بفضله ، وتبليغـًا لـشريعته وتحذيرًا من هول الموقف العظيم ، ليأخذ المؤمن أهبته ، ويتزود من دنياه لآخرته ، يحدث رسول اللّه r أصحابه عن أمور الآخرة ، مبرزًا شفاعته للناس عامة ، وللمذنبين من أمته بصفة خاصة ، موضحًا فضل اللّه على عباده ، ورحمته من آمن منهم ، وإكرامه لهم ، وإحسانه إليهم ، مبينًا عظيم اهتمامه صلى اللّه عليه وسلم بأمته ، وشديد حرصه بأمنهم ، وبالغ شفقته حتى على المذنبين منهم .

يقول : يحشر اللّه الناس يوم القيامة ، يجمع الأولين والآخرين منذ

آدم إلى النفخ فى الصور ، على أرض بيضاء نقية ، ملساء مستوية لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ولا شجرًا ولا حجرًا ولا مدرًا ، لو أن ناظرًا نظر إليهم لرآهم جميعا ، ولو أن متكلما ناداهم لأسمعهم جميعًا ، حفاة عراة ، الرجال والنساء جميعًا ، لكن لا ينظر بعضهم إلى بعض ، ولا يفكر أحدهم فى غير نفسه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ؛ الخوف من المصير يتملكهم ، والشعور بالصغار وحقيقة أنفسهم يملأ قلوبهم ، يقفون كما يقف الجانى فى قفص الاتهام ، ينتظر فصل القضاء ، وتدنو الشمس من رءوسهم ، وتشتد حرارتها عليهم ، ويطول وقوفهم ، ويسيل عرقهم . أهوال وأهوال ، فوق التصور والخيال ، فى وقت واحد ، وفى مكان واحد ، وفى أرض مستوية ، لكن منهم من يبلغ عرقه عقبه ، ومنهم من يبلغ ساقه ، ومنهم من يبلغ ركبته ، ومنهم من يبلغ فخذه ، ومنهم من يبلغ خاصرته ، ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ فاه ، ومنهم من يغطيه عرقه ، لا تقل : كيف والماء على الأرض المعتدلة يغطى من عليها على السواء؟ إنها خوارق الواقعة ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ (١) ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٢) إنه ليوم عظيم ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (٣) ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ﴾ (٤) فيبلغ الناس من الغم والكرب ما

---

(١) سورة الواقعة – الآيتان : ٢ ، ٣ .

(٢) سورة الحج – الآية : ٢ .

(٣) سورة المطففين – الآية : ٦ .

(٤) سورة الحج – الآية : ٤٧ .

لا يطيقون ، وما لا يحتملون ، يفزع بعضهم إلى بعض : ألا ترون إلى ما قد وصلنا إليه ووصل إلينا من الكرب ؟ أما من نهاية لما نحن فيه من الغم ؟ ألا نستشفع إلى ربنا ليريحنا من مكاننا ؟ فينطلقون من الضجر والجزع إلى أبيهم آدم ، ومن للإنسان عند الشدة مثل أبيه ؟ فيجدونه رافعا رأسه إلى السماء يقول : يا رب سلم . سلم . يقولون : يا أبانا . يا أبا الخلق . يا أبا البشر . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ ألا تشفع لنا عند ربنا ؟ فيقول : لست لها . لست لها . لقد عصيت ربى وأنا فى الفردوس ، وأكلت من الشجرة التى نهانى عنها ، فإن يغفر لى اليوم حسبى . نفسى نفسى . فيقولون : يا أبانا ، لقد خلقك اللّٰه بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، ونحن ذريتك ، ألا تشفع لنا اليوم عند ربك ؟ فيقول : إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنى أستحيى لقاء ربى من ذنبى . نفسى . نفسى ، اذهبوا إلى نوح ، أبيكم بعد أبيكم ، أول رسول بعثه اللّٰه إلى أهل الأرض ، وسماه ربه عبدا شكورًا ، فيأتون نوحًا . فيقولون : يا نوح . أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وإن اللّٰه إصطفاك واستجاب دعاءك ، فاشفع لنا عند ربك . فيقول : لقد سألت ربى ما ليس لى به علم ، وأهلكت أهل الأرض بدعوتى ، وإن ربى غضب اليوم غضبا أستحيى من لقائه بمعصيتى ، وإن يغفر لى اليوم حسبى . نفسى . نفسى . اذهبوا إلى إبراهيم ، فهو خليل اللّٰه لعله يشفع لكم ، فيأتون إبراهيم فيستشفعون به ، فيقول : إنى كذبت ثلاث كذبات ، وأشفق على نفسى منها ، وإن يغفر لى اليوم حسبى . نفسى نفسى . اذهبوا إلى موسى ، كلمه اللّٰه وأعطاه التوراة، فيأتون موسى . فيقولون : يا موسى ، اصطفاك اللّٰه على الناس برسالاته وبكلامه ، فاشفع لنا عند ربك ليقضى بيننا ، ويريحنا من مكاننا . فيقول :

إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفسا بغير نفس ، ولم أومر بقتلها ، فإن يغفر لى اليوم حسبى . نفسى . نفسى . اذهبوا إلى عيسى عبد اللّه ورسوله وكلمته وروحه ، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن اللّه ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول اللّه ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس فى المهد صبيا . اشفع لنا عند ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إنى عُبدت من دون اللّه ، واتهمت بأننى قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون اللّه . نفسى . نفسى . اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فقد غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . انطلقوا إلى سيد ولد آدم . فإنه أول من تنشق عنه الأرض . فيأتون محمدًا ﷺ فيقول : أنا لها . أنا لها . فينطلق حتى يأتى تحت العرش . فيقف حامدًا شاكرًا مثنيًا على ربه بثناء وتحميد يلهمه إياه ، حتى إذا تجلى اللّه له خر ساجدًا لربه ، يحمده ويثنى عليه بمحامد لم يحمده بها أحد من قبله ، ولا يحمده بها أحد بعده ، ويمكث ساجدًا ما شاء اللّه له أن يمكث . ثم يقول له : يا محمد . فيقول : لبيك وسعديك والخير فى يديك ، والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك وبك وإليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك . فيقول له : ارفع رأسك ، وسل تعطه . اشفع تشفع . فيقول : يا رب . فرق جمع الأمم إلى حيث تشاء ، والطف بعبادك أهل الموقف ، ويسر الحكم والقضاء .

هنالك تتطاير الصحف ، وتنتشر الكتب ، ويعض الظالم على يديه يقول : ﴿ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ ﴾ [١] هنالك تفتح أبواب جهنم وتفسح الطرق المؤدية إليها ، وينادى المنادى : من كان يعبد شيئا

---

(١) سورة الفرقان – الآية : ٢٧ .

فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الصليب الصليب ، ومن كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد العجل العجل ، ويساقون مع معبوداتهم إلى النار ، يدعون إلى نار جهنم دعا . يساقون إليها زمرًا ، كلما ألقى فيها فوج قالت : هل من مزيد .

حتى إذا ما خلا الموقف من عبدة غير اللّه ، ولم يبق إلا عبدة اللّه أقيم العرض ، فيمر أمام العرش كل نبى وأمته ، يمر النبى ومعه الأمة ، والنبى ومعه النفر ، والنبى ومعه العشر ، والنبى ومعه الخمسة ، والنبى ومعه رجل واحد ، ونبينا ﷺ يومئذ أكثر الأنبياء تابعا ، ثم تفتح ساحة القضاء ، ويوضع الميزان ، ويقوم الحساب فيقول محمد ﷺ : يا رب أمتى أمتى . فيقول له : أدخل من أمتك الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب . فيقول : يا رب زدنى . فيقول : ومع كل ألف سبعون ألفا ، فتمر هذه الزمرة على الصراط كالبرق ، تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، وتكون أمة محمد ﷺ أول الأمم حسابا ، وأولها مرورًا على الصراط ، ويقف رسول اللّه ﷺ على الصراط ، وأمته تعبر تجرى بهم أعمالهم ولسانه لا يفتأ يقول : يا رب سلم سلم . حتى إذا سقط من أمته فى النار من سقط ، ونجا من نجا ، تشفع الناجون إليه أن يستفتح لهم الجنة ، فيأتيها ، فيأخذ حلقة بابها ، فيقعقعها . فيقول الخازن : من هذا ؟ فيقول : محمد . فيقول . مرجبا بمحمد . بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك ، فيدخل الجنة هو والسابقون وأصحاب اليمين ، وينزلون منازلهم حسب أعمالهم .

ثم يخر ساجدًا لربه ، يحمده ويثنى عليه ، فيقول له : ارفع رأسك يا محمد ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فيقول : يا رب . أمتى . أمتى . فيقول له : أخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ فيخرجه ويدخله الجنة ، ثم يخر ساجدا لربه ، ويحمده ، ويثنى عليه فيقول له ربه :

ارفع رأسك يا محمد ، وسل تعط ، واشفع تشفع . فيقول : يا رب أمتى أمتى . فيقول له : أخرج من النار من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من إيمان ، فيخرجه ويدخله الجنة ، ثم يخر ساجدًا لربه . ويحمده ، ويثنى عليه . فيقول له ربه : ما تريد يا محمد ؟ فيقول : يا رب. أناس من عبادك ، لم يشركوا بك ، ولم يعملوا خيرًا قط ، فشفعنى فيهم . فيقول له ربه : ليس ذلك لك . فوعزتى وجلالى وعظمتى وكبريائى لأخرجنهم من النار ، فيخرجهم ربهم ، ثم يدخلهم الجنة .

ذلك المقام المحمود الذى خص الله به نبيه محمدًا ﷺ . وذلك لواء الحمد الذى منحه اللّه إياه يوم القيامة ، وتلك شفقته صلى اللّه عليه وسلم بأمته فى الدنيا والآخرة . وصدق اللّه العظيم . حيث يقول فيه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (١) .

أما أنواع الشفاعة فقد قال النووى تبعًا للقاضى عياض : الشفاعة خمس :

١. فى الإراحة من هول الموقف .
٢. وفى إدخال قوم الجنة بغير حساب .
٣. وفى إدخال قوم حوسبوا ، فاستحقوا العذاب ألا يعذبوا .
٤. وفى إخراج من أدخل النار من العصاة .
٥. وفى رفع الدرجات ، وزاد القاضى عياض : شفاعته صلى اللّه عليه وسلم للتخفيف عن أبى طالب فى العذاب .

---

(١) سورة التوبة – الآية : ١٢٨ .

وزاد القرطبى : إنه أول شافع فى دخول أمته الجنة قبل الناس .

وسنتناول كل واحدة بشىء من التفصيل ، وبالله التوفيق .

الشفاعة العظمى للإراحة من هول الموقف : ودليلها من توجه الناس إلى آدم ثم إلى نوح ، ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى موسى ثم إلى عيسى ، ثم إلى محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وصاحب هذه الشفاعة محمد ﷺ لا يشاركه فيها أحد من الملائكة ولا من الأنبياء ، وكيفيتها طبقًا لما جاء فى الروايات الصحيحة : أن ينطلق صلى الله عليه وسلم ، فيأتى تحت العرش ، فيقع ساجدًا ، يثنى ويحمد حتى يقال له : ارفع رأسك .

ففى الرواية : « فيأتونى ، فأستأذن على ربى ، فيؤذن لى فإذا أنا رأيته وقعت ساجدًا ، فيدعنى ما شاء الله . فيقال : يا محمد ارفع رأسك . ... » وقريب من هذا : « فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله » وفى رواية : « فأنطلق ، فآتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربى . ثم يفتح الله علىّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلى » .

وكأنه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد والثناء قبل السجود وفى أثنائه وبعده عندما يرفع رأسه . وقد روى النسائى بعض هذه المحامد من حديث حذيفة رفعه : « فيقال : يامحمد . فأقول : لبيك وسعديك ، والخير فى يديك ، والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك وإليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك لا ملجأ ولا منجى منـك إلا إليـك . سبحانك رب البيت » .

فيقال : ارفع رأسك يا محمد وسل تعط واشفع تشفع . فيطلب من ربه أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء .

فينادى المنادى : ألا فلتتبع كل أمة ما كانت تعبد فى الدنيا ، فيساق

المشركون إلى النار ، ويبقى فى الموقف من كان يعبد اللَّه فيوضع الميزان وتتطاير الصحف ، ويقوم العرض والحساب وينصب الصراط .

وهذا النوع من الشفاعة ثابت بإجماع الأمة : أهل السنة منها والمعتزلة والخوارج . وغيرهم .

أما النوع الثانى وهو إدخال قوم الجنة بغير حساب : فدليله ما رواه أبو هريرة فى الصحيح عن رسول اللَّه ﷺ قال : « سألت ربى فوعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بغير حساب . فاستزدت ربى فزادنى مع كل ألف سبعين ألفًا » . وأخرج الترمذى وحسنه ، والطبرانى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى أمامة رفعه : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا . لا حساب عليهم ولا عذاب . وثلاث حثيات من حثيات ربى » . وقوله فى رواية : « فأقول : يا رب أمتى . أمتى . فيقال : يا محمد . أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة . وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » .

وهذا النوع وإن سلم به المعتزلة والخوارج لكنهم اشترطوا ألا يكون فيهم مرتكب كبيـرة لم يتب منها ؛ لأن أصحاب الكبائـر عندهم لا يدخلون الجنة إن لم يتوبوا .

أما النوع الثالث وهو الشفاعة فى قوم حوسبوا ، فاستحقوا العذاب ألا يعذبوا : فإن دليله قوله صلى اللَّه عليه وسلم « ونبيكم على الصراط يقول : رب سلم سلم » .

وهذه الشفاعة ليست خاصة به صلى اللَّه عليه وسلم فقد سبق أن الأنبياء كذلك يقفون على الصراط يقولون «يا رب سلم سلم» .

وهذا النوع ينكره المعتزلة والخوارج ، لأن مستحق العذاب عندهم

لا بد أن يعذب .

وأما النوع الرابع وهو الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها :
فإن دليله ما جاء من شفاعته صلى اللّه عليه وسلم فى المذنبين ، وإخراجه من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان ، ثم من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، ثم من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان .

وما جاء فى الحديث الذى سبق شرحه من شفاعة المؤمنين لإخوانهم الذين دخلوا النار ، فيخرجون خلقا كثيرا قد عادوا حمما فيلقيهم اللّه فى نهر الحياة . .إلخ .

وهذا النوع من الشفاعة ليس خاصًا بالنبى ﷺ وتنكره الخوارج والمعتزلة أشد الإنكار ، وتمسكوا بقوله تعالى : ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ** ۝ ﴾ [1] وأجاب أهل السنة بأنها فى الكفار ، وخصوصا أن الأحاديث فى إثبات الشفاعة المحمدية متواترة ، قاله فى الفتح .

وأما النوع الخامس فهو الشفاعة فى رفع الدرجات : بأن يشفع لمن لم يبلغ عمله درجة عالية أن يبلغها بشفاعته ، وقد أشار النووى فى الروضة إلى أن هذه الشفاعة من خصائصه صلى اللّه عليه وسلم ، لكن الظاهر أنه يشاركه فيها صالحو المؤمنين ، وإلى ذلك يشير **قوله تعالى** : ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ۝ ﴾ [2] **قاله كثير** من المفسرين .

---

(١) سورة المدثر – الآية : ٤٨ .

(٢) سورة الطور – الآية : ٢١ .

قال القاضى عياض : أثبتت المعتزلة الشفاعة العامة فى الإراحة من كرب الموقف ، والشفاعة فى رفع الدرجات ، وأنكرت ما عداهما . اهـ .

أما شفاعته صلى اللّه عليه وسلم فى دخول أمته الجنة قبل الناس :

فلها شواهد كثيرة ، ففى رواية : « أنا أول الناس يشفع فى الجنة » « أنا أول من يقرع باب الجنة » . « آتى باب الجنة يوم القيامة ، **فأستفتح** ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت . **لا أفتح لأحد قبلك** » وعند الترمذى : « فآخذ حلقة باب الجنة ، **فأقعقعها** ، **فيقال** : من هذا ؟ فأقول : محمد ، فيفتحون لى ، ويرحبون ، **فأخر ساجدًا** » .

وقد تعرضت الروايات إلى دعوات الأنبياء ، وأن لكل نبى دعوة مستجابة .

كما تعرضت الروايات إلى أن محمدًا ﷺ أكثر الأنبياء تابعًا ، ولا خلاف فى ذلك ، ففى البخارى عن ابن عباس قال : قال النبى ﷺ : «عرضت على الأمم ، فأجد النبى يمر معه الأمة ، والنبى يمر معه النفر ، والنبى يمر معه العشرة ، والنبى يمر معه الخمسة ، والنبى يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل ، هؤلاء أمتى ؟ قال : لا . ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت ، فإذا سواد كثير ، قال : **هؤلاء أمتك** ، **وهؤلاء** سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب » **وفيه عن عبد اللّه بن** مسعود قال : « كنا مع النبى ﷺ فى قبة ، فقال : **أترضون أن تكونوا ربع** أهل الجنة ؟ قلنا : نعم . قال : **أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة** . **قلنا** : نعم . قال : أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة » **وفى رواية** : « بل أرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة » ثم قال : « **إن مثلكم فى الأمم كمثل** الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود » .

تطاير الكتب

حتى إذا أراد الله بعد الشفاعة العظمى أن يصرف أهل الموقف تطايرت الكتب ، فمن الناس من يأخذ كتابه بيمينه ، فيقول لأصحابه : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ ﴾ [1] . ومنهم من يأخذ كتابه بشماله فيقول : ﴿ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ ﴾ [2]. ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩ ﴾ [3]. ومنـــهم من يأخذ كتابـــه من وراء ظهره ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ ﴾ [4] ولن يرجع إلى الله للحساب .

ويصدر الأمر الإلهى لكل مكلف من بنى آدم : ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤ ﴾ [5] . ﴿ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩ ﴾ [6] .

---

(١) سورة الحاقة – الآيتان : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) سورة الحاقة – الآيات : ٢٥ – ٢٨ .

(٣) سورة الكهف – الآية : ٤٩ .

(٤) سورة الانشقاق – الآيات : ١١ – ١٤.

(٥) سورة الإسراء : ١٤ .

(٦) سورة الجاثية – الآية : ٢٩ .

وأول الناس يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام .

٦٥٢٩ - فعَنْ أبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ : « أوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ فَيُقَالُ : هَذَا أبُوكُمْ آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيَقُولُ : أخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، كَمْ أُخْرِجُ ؟ فَيَقُولُ : أخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا ؟ قَالَ : « إنَّ أُمَّتِى فِى الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِى الثَّوْرِ الأسْوَدِ » .

وأول الخلق يكسى إبراهيم عليه السلام

٦٥٢٦ - فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قَالَ : قَامَ فِينَا النَّبِىُّ ﷺ يَخْطُبُ ، فَقَالَ : « إنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [1] الآيَةَ ، وَإنَّ أوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إبْرَاهِيمُ ، وَإنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِى ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ . فَأقُولُ : يَا رَبِّ أُصَيْحَابِى . فَيَقُولُ : إنَّكَ لاَ تَدْرِى مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [2] إلَى قَوْلِهِ (الْحَكِيمُ) قَالَ : فَيُقَالُ : إنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أعْقَابِهِمْ » . وتمام الآيتين : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [3].

---

(١) سورة الأنبياء – الآية : ١٠٤ .

(٢) سورة المائدة – الآية : ١١٧ .

(٣) سورة المائدة – الآيتان : ١١٧ ، ١١٨ .

الميـزان :

وينصب الميزان ، فتوزن الحسنات والسيئات ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (١) . ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٢) . ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ (٣).

وتحدث المناجاة بين العبد وربه ، يصورها الحديث :

٦٥٣٩ - عَنْ عَدِىِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلاَ يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِىَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

٢٤٤١ - وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِىِّ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِى مَعَ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِى النَّجْوَى ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُدْنِى الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَىْ رَبِّ . حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِى

---

(١) سورة الأنبياء - الآية : ٤٧ .

(٢) سورة الأعراف - الآيتان : ٨ ، ٩ .

(٣) سورة القارعة - الآيات : ٦- ١١ .

نَفْسه أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ . فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِه ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ : « هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » .

الحـوض :

٦٥٧٩ – عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رضى الله عنهما – قال : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « حَوْضِى مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا » .

٦٥٨١ – وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِى الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِى أَعْطَاكَ رَبُّكَ . فَإِذَا طِينُهُ – أَوْ طِيبُهُ – مِسْكٌ أَذْفَرُ » .

٦٥٨٣ – وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « إِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، مَنْ مَرَّ عَلَىَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، لَيَرِدَنَّ عَلَىَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِى ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ » .

٦٥٨٧ – وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِى وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ : هَلُمَّ . فَقُلْتُ : أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ . قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى . ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِى وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ : هَلُمَّ . قُلْتُ : أَيْـنَ ؟ قَالَ : إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ . قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى . فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلاَّ مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ » .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ إِلَى عَدَنٍ . لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ . وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ .

وَلآنيتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ . وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ! أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ . لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ . تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ » .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ . وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ . كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ » قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ! أَتَعْرِفُنَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ . لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ . تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ . وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلا يَصِلُونَ . فَأَقُولُ : يَا رَبِّ! هَؤُلاءِ مِنْ أَصْحَابِي . فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ : وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؟ » .

وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ حَوْضِي لأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنِّي لأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَتَعْرِفُنَا ؟ قَالَ « نَعَمْ . تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ . لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ » .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، بِكُمْ لاحِقُونَ . وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » قَالُوا : أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَنْتُمْ أَصْحَابِي . وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ » . فَقَالُوا : كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ . بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ – أى سود سوادًا مبهمًا – أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ » قَالُوا : بَلَى . يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ : « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ . وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ . أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ . أُنَادِيهِمْ : أَلا هَلُمَّ : فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ .

فَأَقُولُ : سُحْقًا سُحْقًا » .

يقصد أن حوضه يوم القيامة واسع الأرجاء ، عرضه كما بين أيلة وعدن ، يسير حوله الراكب مسيرة شهر ، شرابه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب من المسك ، آنيته لامعة كثيرة ، مثل نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا ، أنادى له أصحابى وأتباعى ، وأصد عنه غير أمتى .

قالوا : يا رسول اللّه . أتعرفنا يومئذ ؟ قال : نعم . قالوا : وكيف تعرف من يؤمن بك من أمتك ممن يأتى بعدك يا رسول اللّه ؟ قال : أخبرونى لو أن لأحدكم خيلا فى جبهتها بياض وفى قوائمها بياض ، فى وسط خيل سود سوادًا كاملا لا بياض فى لونها ، ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يعرفها يا رسول اللّه ، قال : فإنكم تردون حوضى يوم القيامة وفى وجوهكم نور ، وفى أيديكم نور ، وفى أرجلكم نور ، علامة ليست لأحد من الأمم غيركم ، وإنه ليبلغ نور أعضائكم حيث يبلغ الوضوء منها ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته وتحجيله ، وأن يوسع نوره فليسبغ الوضوء ، وليبالغ فى غسل أعضائه ، ولئن كان لإسباغ الوضوء هذا الفضل الكبير ، والأثر العظيم ، فإن فعل الواجبات ، والبعد عن المحرمات أساس لهذا الفوز المبين ، لأننى قد أرى (يوم القيامة ، وأنا واقف على الحوض) رجالا أظنهم من أمتى ، فأناديهم : تعالوا ، هلموا إلى حوضى ، فيحول بينى وبينهم ملك ، فيحولهم عن حوضى ، فأقول : إلى أين ؟ فيقول : إلى النار . فأقول : وما شأنهم ، وإنى لأظنهم مسلمين ؟ وإنى لأظنهم من أصحابى ؟ فيقول : لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، إنهم بدلوا وغيروا ، فأقول سحقًا . سحقًا . وبعدًا لهؤلاء القوم بعدًا . وما ربك بظلام للعبيد .

فاللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو نفتن عن ديننا ، إنك

غفور رحيم .

وفى وقت ورود حوضه صلى الله عليه وسلم ومكانه خلاف بين العلماء ، فقال بعضهم : الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه ، مستندين إلى ما أخرجه أحمد والترمذى عن أنس قال : «سألت رسول اللَّه ﷺ أن يشفع لى فقال أنا فاعل ، فقلت : أين أطلبك ؟ قال : اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط قلت : فإن لم ألقك ؟ قال : أنا عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك ؟ قال : أنا عند الحوض» .

وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط مما جاء فى أحاديثنا من أن جماعة يدفعون عن الحوض ، بعد أن يكادوا يردون ، ويذهب بهم إلى النار ، ووجه الإشكال أن الذى يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار ، فكيف يرد إليها ؟ ويمكن أن يجاب بأنهم يقربون من الحوض ، بحيث يرونه ويرون النار ، ويراهم صلى اللَّه عليه وسلم فيناديهم فيدفعون إلى النار .

وقال بعض العلماء : إن الحوض قبل الصراط ، فإن الناس يردون الموقف عطاشى فيرد المؤمنون الحوض ، ويتساقط الكفار فى النار بعد أن يقولوا : ربنا عطشنا ، فترفع لهم جهنم كأنها سراب ، فقال : ألا تردون ؟ فيظنونها ماء فيتساقطون فيها .

وقد استشكل كون الحوض قبل الصراط بما جاء فى رواية البخارى « وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا » ووجه الإشكال أن ظاهر اللفظ يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار ، لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار ، ومن الثابت أن بعض المؤمنين يتساقطون فى النار عند مرورهم على الصراط ، ومن سقط فى النار أصابه الظمأ ، وأجاب القاضى عياض بأنه يحتمل أن

من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيهم بالظمأ ، بل بغيره .

ورد الحافظ ابن حجر هذا الاحتمال بما وقع فى بعض الروايات من قوله صلى اللَّه عليه وسلم : « ومن لم يشرب منه لم يرو أبدًا » واختار أن للنبى ﷺ حوضين : أحدهما فى الموقف قبل الصراط ، والآخر داخل الجنة .

والراجح عندى أنه حوض واحد ، لأنه لم يثبت ذكر حوضين فى الأحاديث الصحيحة ، وأمور الآخرة تثبت بالروايات لا بالاحتمال ، وكونه بعد الصراط ظاهر الأحاديث . والإشكال عليه سهل الجواب واللَّه تعالى أعلم .

وقد اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض ، لكن أخرج الترمذى من حديث سمرة رفعه « إن لكل نبى حوضًا » وأخرجه ابن أبى الدنيا بسند صحيح ، عن الحسن قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن لكل نبى حوضًا ، وهو قائم على حوضه ، بيده عصا ، يدعو من عرف من أمته إلا أنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا » وأخرجه الطبرانى موصولا مرفوعًا .

قال الحافظ ابن حجر : فإن ثبت أن لكل نبى حوضًا **فالمختص** بنبينا ﷺ الكوثر - أى النهر - الذى يصب من مائه فى حوضه ، فإنه لم ينقل نظيره لغيره ، ووقع الامتنان عليه به فـــى السورة المذكورة .

وقال القرطبى فى المفهم تبعا للقاضى عياض : مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن اللَّه سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمدًا ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه فى الأحاديث الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها العلم القطعى ، إذ روى ذلك عن النبى ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين ، منهم فى الصحيحين ما ينيف على العشرين ، وفى غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته ، ثم رواته عن

الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم ، وهلم جرا ، وأجمع على إثباته السلف ، وأهل السنة من الخلف ، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة ، وأحالوه على ظاهره ، وغلوا فى تأويله ، من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته ، ولا حاجة تدعو إلى تأويله ، فخرق من حرفه إجماع السلف ، وفارق مذهب أئمة الخلف . اهـ . والمنكرون له المعتزلة وبعض الخوارج .

وفى الأحاديث أن بعض أتباعه صلى اللَّه عليه وسلم يحال بينهم وبين الحوض ، وفى المقصود بهم أقوال : قيل : هم المرتدون بعده صلى اللَّه عليه وسلم ممن أسلموا فى زمنه فيناديهم صلى اللَّه عليه وسلم وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء ، لما كان يعرفه صلى اللَّه عليه وسلم فى حياته من إسلامهم ، فيقال له : إنهم ارتدوا بعدك فيقول : سحقًا سحقًا . وهذا القول جدير بالقبول لولا أن الكلام مرتبط بالغرة والتحجيل ، فصار بعيدًا .

وقيل : هم المنافقون ، يحشرون بالغرة والتحجيل كالمؤمنين . يحشرون بالنور ، لدخولهم فى غمار المؤمنين لتسترهم بالإيمان فى الدنيا ، ثم يطفأ نورهم عند الحاجة إليه عند المرور على الصراط ، فيعرفهم صلى اللَّه عليه وسلم بالغرة والتحجيل ، ويظنهم مؤمنين حقًا فيناديهم حين يرى تخبطهم ، فيقال له : ليس ممن وعدت بهم ، إن هؤلاء بدلوا بعدك ، أى لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم ، وهذا القول بعيد ، وفى تطبيق الروايات عليهم تمحل .

وقيل : المراد بهم أصحاب المعاصى الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام ، ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل ، سواء كانوا فى زمنه صلى اللَّه عليه وسلم أو بعده ، فمعرفته لهم بالسيما . وهؤلاء المبعدون عن الحوض

لا يقطع لهم بالنار ، بـل يجـوز أن يبعدوا عن الحوض عقوبة لهم ، ثم يرحمهم اللَّه سبحانه وتعالى ، فيدخلهم الجنة بغير عذاب .

وهذا أقرب الأقوال ، وأحراها بالقبول .

قال ابن عبد البر : كل من أحدث فى الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وأصحاب الأهواء . وقال : كذلك الظلمة المسرفون فى الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر ، قال : وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر . واللَّه أعلم .

ويؤخذ منها أن الرسول ﷺ لا يدرى ما أحدث المسلمون بعده ، وفى هذا تعارض مع ما روى من أن أعمال أمته تعرض عليه يوم الخميس ويوم الاثنين ، فما وجد منها من خير حمد اللَّه عليه ، وما وجد منها غير ذلك استغفر اللَّه له ، ويمكن أن يرفع هذا التعارض بأنها تعرض عليه عرضا مجملا ، فيقال : عملت أمتك خيرًا ، أو عملت أمتك شرًا دون تعيين لفاعلى الخير والشر . والحق أن هذا الحديث ضعيف .

ويؤخذ منها أن الرسول ﷺ يذود غير المسلمين ويبعدهم عن حوضه، ولا يقال : كيف يطرد الناس عن حوضه وهو الكريم ؟ فإن الذود المذكور قصد منه إرشاد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم من أن لكل نبى حوضا ، وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم فيكون ذلك من جملة إنصافه ؛ ورعاية إخوانه النبيين عليهم السلام ، لا أنه يطردهم بخلا عليهم بالماء ، ويحتمل أن يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والعلم عند اللَّه تعالى.

ساحة القضاء

وفيها نشر الكتب والميزان والحساب والمناجاة

وقد تكلمنا عن نشر الكتب والميزان والمناجاة .

الحساب

أما الحساب فمنة ما يتعلق بحقوق الخالق ، ومنه ما يتعلق بحقوق المخلوق ، وأول ما يحاسب عليه العبد مما يتعلق بحقوق الخالق الصلاة ، فعند أصحاب السنن يقول صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، فإن وجدت تامة كتبت تامة ، وإن كان انتقص منها شيء قال : انظروا هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضة من تطوعه ، ثم سائر الأعمال تجرى على حسب ذلك » . وفى رواية : « إن أول ما يحاسب به العبد بصلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر » .

وأول ما يحاسب عليه العبد مما يتعلق بحقوق العباد الدماء ، ففى الحديث :

٦٥٣٣ - عن عَبْد اللَّهِ ﷺ قَالَ : قال النَّبِىُّ ﷺ : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ » .

وفى رواية : « ويأتى كل قتيل قد حمل رأسه ، فيقول : يا رب . سل هذا . فيمَ قتلنى ؟ » .

وفى رواية : « يأتى المقتول معلقًا رأسه بإحدى يديه ، ممسكًا بيده الأخرى بتلابيب قاتله ، تشجب أوداجه دمًا ، حتى يقفا بين يدى الله » .

وعند الترمذى عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ ، وَعن مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ » .

وعنده عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ - رضى الله عنهما - قَالاَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالا وَوَلَدًا ، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ يَوْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : لاَ . فَيَقُولُ لَهُ : الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِى » .

وعند مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ » . قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ . فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ » .

ومن هنا أوصى صلى الله عليه وسلم الظالم أن يتحلل من المظلوم فى الدنيا ، وأن يطلب مسامحته والتنازل عن حقه ، فقال : « رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا كَانَتْ لأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِى عِرْضٍ أَوْ مَالٍ ، فَجَاءَهُ ، فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَّلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ » .

يقول العلماء : إن صاحب الحق يعطى من أصل الثواب ما يوازى العقوبة عن السيئة ، ولا يعطى من مضاعفة الثواب ؛ لأن المضاعفة فضل الله يختص به من تشمله رحمته ورضاه .

ويقول الحميدى : الناس ثلاثة : من رجحت حسناته على سيئاته ، ومن رجحت سيئاته على حسناته ، ومن تساوت حسناته وسيئاته . فالأول فائز بنص القرآن ، والثانى : يقتص منه من حسناته ، والثالث أصحاب الأعراف ، وبعضهم يعذب ثم يخرج من النار بالشفاعة ، ومنهم من يعفى عنه ولا يعذب أصلا .

الحبس بعد الصراط على قنطرة بين الجنة والنار للمقاصة

٦٥٣٥ – عن أبى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِى الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِى دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِى الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِى الدُّنْيَا » .

وينجو من زادت حسناته على سيئاته ، فيزحزح عن النار ، ويجوز الصراط ، لكنه لا يدخل الجنة حتى يقتص منه حقوق الآخرين . وحتى يهذبوا وينقوا ، فقد أخرج ابن أبى حاتم عن رسول الله ﷺ قال: يحبس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط ، حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم فى الدنيا ، ويدخلون الجنة وليس فى قلوب بعضهم على بعض غل .

وقد يرضى الله من فضله الخصماء إذا رضى على الظالم فيمنح المظلومين من نعيمه ما يقابل الإساءة ، ويظل يزيد فى الفضل حتى يقبل ويرضى ويعفو المظلوم عن ظالمه .

مواقف يشيب من هولها الولدان ، وتذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ورسول الله ﷺ يحضر هذه المواقف ، كما يحضر الوالد قضية ابنه ليواسيه وهو فى قفص الاتهام . فعند الترمذى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِىَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ : « أَنَا فَاعِلٌ » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ ؟ قَالَ : « اطْلُبْنِى أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِى عَلَى الصِّرَاطِ » . قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ ؟ قَالَ : « فَاطْلُبْنِى عِنْدَ الْمِيزَانِ » . قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ ؟ قَالَ : « فَاطْلُبْنِى عِنْدَ الْحَوْضِ ، فَإِنِّى لاَ أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاَثَ الْمَوَاطِنَ » .

الجنة والنار

الجنـــة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (١) .

سعة الجنة :

إذا كان عرضها السموات والأرض ، فماذا عن طولها ؟ وماذا عن مساحتها ؟ والحقيقة أن السموات والأرض فى ملك الله كحلقة ملقاة فى فلاة .

ولذلك لا نعجب إذا قرأنا الحديث الذى أخرجه الترمذى عن رسول الله ﷺ : « إن فىَ الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » .

ولا نعجب إذا قرأنـــا الحديــث الذى أخرجه أحمد أيضًا عن رسول الله ﷺ قال : باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب الجواد ثلاثًا » .

ولا نعجب إذا قرأنـــا الحديــث الذى أخرجه الترمذى أيضًا عن

---

(١) سورة آل عمران – الآيات : ١٣٣ – ١٣٥ .

رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » .

ولا نعجب إذا قرأنا حديث رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لخيمة من درة مجوفة ، عرضها ستون ميلا ، فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن » .

أسماء الجنة وصفاتها :

والجنة تطلق على الحديقة والأشجار والقصور ، والمراد منها هنا ما أعدَّ للمتقين فى الدار الآخرة ليستقروا فيها ، وقد عبَّر عنها القرآن بتعبيرات ، قال عنها العلماء : إنها جنات تختلف ذواتها ، وتختلف صفاتها.

أعلاها الفردوس ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [2]. والفردوس معناه البستان الذى يغلب عليه العنب ، وفى الحديث :

٢٧٩٠ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ آمن بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ جَلَسَ فِى أَرْضِهِ الَّتِى وُلِدَ فِيهَا » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ . قَالَ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ مِائَة دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْن

---

(١) سورة الكهف – الآيتان : ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) سورة المؤمنون – الآيتان : ١٠ ، ١١ .

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » .
وفي رواية : « وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ » .

ودار السلام : قال تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [1] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[2].

ودار الخلد : قال تعالى : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ [3] .

ودار المقامة : قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [4].

وجنة المأوى : قال تعالى : ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [5].

وجنة النعيم : قال سبحانه تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [6].

---

(١) سورة الأنعام – الآية : ١٢٧ .
(٢) سورة يونس – الآية : ٢٥ .
(٣) سورة الفرقان – الآية : ١٥ .
(٤) سورة فاطر – الآية : ٣٥ .
(٥) سورة السجدة – الآية : ١٧ .
(٦) سورة القلم – الآية : ٣٤ .

وجنة المقام الأمين : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [1].

وجنة عدن : وعدن بالمكان يعنى استقر . قال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2].

ومقعد صدق : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [3] .

والحسنى : قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ ﴾ [4] .

تراب الجنة وحصباؤها وقصورها :

فى الحديث الذى رواه أحمد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا ؟ قَالَ : « لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، ولَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ ، حَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ ، وَتُرْبَتُهَا الْوَرْسُ وَالزَّعْفَرَانُ ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَخْلُدُ لاَ يَمُوتُ ، وَيَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ لاَ يَبْلَى شَبَابُهُمْ ، وَلاَ تَخْرَقُ ثِيَابُهُمْ » .

يقول الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ

---

(١) سورة الدخان – الآية : ٥١ .

(٢) سورة الرعد – الآية : ٢٣ .

(٣) سورة القمر – الآيتان : ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) سورة الكهف – الآية : ٨٨ .

فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (١) .

ويقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٢) .

ويقول تعالى : ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ (٣) .

وفى مسند أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » . فَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِىُّ : لِمَنْ هِىَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لِمَنْ أَلاَنَ الْكَلاَمَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ » .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه كان يدعو : اللهم إنى أسألك إيمانًا لا يرتد ونعيمًا لا ينفد ، ومرافقة النبى ﷺ فى أعلى غرف الجنة ، جنة الخلد .

وينظر أهل الجنة إلى الغرف نظرتنا فى الدنيا إلى النجوم فى ضوئها ولمعانها ، وفى الحديث :

٣٢٥٦ - عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَيُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّىَّ الْغَابِرَ فِى الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ : « بَلَى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ » .

---

(١) سورة الفرقان - الآية : ٧٥ .

(٢) سورة العنكبوت - الآية : ٥٨ .

(٣) سورة الزمر - الآية : ٢٠ .

ويقال لقارئ البقرة وآل عمران : اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها ، فهو فى صعود ما دام يقرأ .

وللمؤمن فى الجنة قصور ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝ ﴾ [1] . وفى الحديث :

٧٠٢٣ - عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ ﷺ قَالَ : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِى فِى الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، قُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ قَالَ : أَعَلَيْكَ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ .

صفة أهل الجنة

فى حديث الترمذى : « مَنْ دَخَلَهَا ، يَنْعَمُ ولاَ يَبْأَسُ ، ويَخْلُدُ ولاَ يَمُوتُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ ، ولا يفنى شَبَابُهُمْ » .أبناء ثلاثين سنة ، أو ثلاث وثلاثين .

وفى حديث آخر له : « أهل الجنة جرد مرد كحل - أى بدون لحية مكحولو العيون - لا يفنى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم » .

وفى الحديث :

٣٢٤٥ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ - أى تضيء وجوههم - لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا

---

(١) سورة الفرقان - الآية : ١٠ .

الذَّهَبُ ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ – العود – وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، مِنَ الْحُسْنِ ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » .

أنهار الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ (١) .

ثمار أهل الجنة :

يقول تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (٢) .

ويقول : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٣). وفيهما : أى فى الجنتين .

ويقول : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٤).

ويقول : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (٥).

ويقول : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٦).

---

(١) سورة محمد – الآية : ١٥.
(٢) سورة محمد – الآية : ١٥.
(٣) سورة الرحمن – الآية : ٥٢.
(٤) سورة يس – الآية : ٥٧.
(٥) سورة ص – الآية : ٥١.
(٦) سورة الزخرف – الآية : ٧٣.

ويقول : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1].

ويقول : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [2].

ويقول : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3].

ويقول : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ بسبب الأحوال الجوية ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [4].

ويقول : ﴿ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [5].

ويقول : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [6].

ويقول : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ [7]. يؤتى بالفاكهة شكل فاكهة الدنيا ، يعرفها بما عرف فى الدنيا ، اللون واحد لكن الطعم مختلف ، وكلما قطع ثمرة ليأكلها لا تصل إلى فمه حتى يكون مثلها مكانها فى شجرها ، ولما

---

(١) سورة الدخان – الآية : ٥٥.
(٢) سورة الرحمن – الآية : ٦٨.
(٣) سورة الواقعة – الآية : ٢٠.
(٤) سورة الواقعة – الآية : ٢٢.
(٥) سورة الصافات – الآيات : ٤١– ٤٣ .
(٦) سورة المرسلات – الآيات : ٤١– ٤٣ .
(٧) سورة البقرة – الآية : ٢٥ .

كانت الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين كانت كل فواكه الدنيا ميسرة ، لا تحتاج الصعود على الشجر ، بل بمجرد توجه النفس إلى فاكهة معينة يجدها بين يديه ، إما من غيب إلى عبد ، وإما عن طريق الخدم والولدان .

طعام أهل الجنة وشرابهم :

قال الله تعالى : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ منسوجة بالذهب والفضة ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ من خمر لذة للشاربين ، لا فيها غول "سكر" ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾ لا يصيبهم صداع بسببها كخمر الدنيا ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ أى لا تذهب عقولهم ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (١) مما تميل نفوسهم إليه وترغب فيه .

وعند أبى الدنيا : « إن الرجل فى الجنة يشتهى الطير من طيور الجنة ، فيجيء حتى يقع على مائدته مطبوخًا أو مشويًا حسبما يشتهى » .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾ (٢) .

ويقول تعالى : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ (٣) يتناولها بدون واسطة وبدون مشقة أو جهد ، كما يتناولها عن طريق الخدم

---

(١) سورة الواقعة – الآيات : ١٥- ٢١ .

(٢) سورة الإنسان – الآية : ٥ .

(٣) سورة الإنسان – الآية : ١٤ .

تكريمًا له وتعظيمًا .

ويقول : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ ﴾ (١) .

نساء أهل الجنة

يقول الله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٢) .

ويقول : ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ نقية من دماء الدنيا ، نقية من خبائث الدنيا ، عفيفة قاصرة الطرف ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ (٣).

ويقول صلى الله عليه وسلم : « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة » .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (٤) . أى مستويات فى السن . وهذه الآيات فى نساء الدنيا ،

---

(١) سورة الرعد – الآية : ٣٥ .

(٢) سورة الرحمن – الآيات : ٥٤– ٥٨ .

(٣) سورة آل عمران – الآية : ١٥ .

(٤) سورة الواقعة – الآيات : ٣٥– ٣٧ .

وأن المنشأت أنشأهن الله ، وأعاد إنشاءهن من غير ولادة ، وكن فى الدنيا عجائز عمشًا رمصًا ، فبعثهن الله أبكارًا فى سن الثلاثين .

وفى الحديث : « أتت عجوز رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله . ادع الله أن يدخلنى الجنة . فقال : يا أم فلان . لا تدخل الجنة عجوز . فولت تبكى . قال : أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز » .

والآيات فى القرآن كثيرة تجمع فى الجنة بين الزوجين كقوله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [1] .

وقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ ﴾[2].

وقوله : ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [3]

فزوجات الدنيا زوجات فى الجنة إذا كن مؤهلات لدرجة الأزواج . ونساء الدنيا اللائى لم يتزوجن فيها يزوجهن الله تعالى فى الجنة لمن شاء من عباده ، وكذلك الزوجات المؤمنات اللائى كن فى الدنيا زوجات للكفار فأدخلن الجنة يزوجهن الله لمن شاء من عباده .

أما الحور العين :

فهن أزواج مضافةٍ إلى نساء الدنيا . قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [4].

---

(١) سورة الزخرف - الآية : ٧٠ .

(٢) سورة الرعد - الآية : ٢٣ .

(٣) سورة يس - الآية : ٥٦.

(٤) سورة الدخان - الآية : ٥٤ .

وقال تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[3].

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ شـــابـــات متساويات فى السن ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[4] .

وفى حديث عند أحمد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ، إِنَّ لَهُ لَسَبْعَ دَرَجَاتٍ ، وَهُوَ عَلَى السَّادِسَةِ وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ ، وَإِنَّ لَهُ لَثَلاَثَمِائَةِ خَادِمٍ وَيُغْدَى عَلَيْهِ وَيُرَاحُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلاَثُمِائَةِ صَحْفَةٍ - وَلاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ قَالَ مِنْ ذَهَبٍ - فِى كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِى الأُخْرَى ، وَإِنَّهُ لَيَلَذُّ أَوَّلَهُ كَمَا يَلَذُّ آخِرَهُ ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ يَا رَبِّ لَوْ أَذِنْتَ لِى لأَطْعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَسَقَيْتُهُمْ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِى شَىْءٌ ، وَإِنَّ لَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ لَيَأْخُذُ مَقْعَدُهَا قَدْرَ مِيلٍ مِنَ الأَرْضِ » .

---

(١) سورة الرحمن - الآية : ٧٢.

(٢) سورة الواقعة - الآية : ٢٢- ٢٣ .

(٣) سورة الصافات - الآيتان : ٤٨، ٤٩ .

(٤) سورة ص - الآيات : ٤٩- ٥٤ .

وفى مسند أحمد أيضًا عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ سُوقًا مَا فِيهَا بَيْعٌ وَلاَ شِرَاءٌ إِلاَّ الصُّوَرُ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا » . « وَإِنَّ فِيهَا لَمَجْمَعًا لِلْحُورِ الْعِينِ يَرْفَعْنَ أَصْوَاتًا لَمْ يَرَ الْخَلاَئِقُ مِثْلَهَا يَقُلْنَ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلاَ نَبِيدُ ، ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلاَ نَسْخَطُ وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلاَ نَبْؤُسُ ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ » .

ولما كانت الغيرة عند العرب فى طبائعهم وغرائزهم كان وصف الحور العين بالمقصورات أحسن وصف لهن ، وأكد ذلك الحديث :

٣٢٤٢ – عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِى فِى الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا » . فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ : أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وفى مدحهن ووصفهن يقول الحديث :

٦٥٦٨ – وَقَالَ : « غَدْوَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ ، لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا ، وَلَنَصِيفُهَا – يَعْنِى الْخِمَارَ – خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

لباس أهل الجنة :

يقول تعالى : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الكهف – الآية : ٣١ .

ويقول : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] .

ويقول تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [2] .

فرش أهل الجنة وأدوات أكلهم وشرابهم :

يقول الله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [3].
وتخيل معنا إذا كانت البطانة من إستبرق فماذا يكون الظاهر ؟

ويقول تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ بين أيديهم وعلى حافة العيون ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ ﴾ أى وسائد صف بعضها بجانب بعض ، يجلس المؤمن على واحدة ، ويستند إلى أخرى ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [4] أى وبسط فاخرة مفرقة فى المجالس .

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [5] .

---

(١) سورة الحج – الآية : ٢٣ .
(٢) سورة الإنسان – الآية : ٢١ .
(٣) سورة الرحمن – الآية : ٥٤.
(٤) سورة الغاشية – الآيات : ٨- ١٦ .
(٥) سورة الإنسان – الآيتان : ٥ ، ٦ .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١).

ويقول تعالى : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٢).

ويقول : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ ﴾ (٣).

ويقول : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ ﴾ كانت زجاجًا أى كانت كالزجاج الصافى ، لكنها ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ رسموها على مزاجهم فجاءت وفقًا لرغباتهم ، بالمقاس والشكل واللون ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ يخدمونهم دائمين على صفاتهم من الطراوة والبهاء ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ هناك ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (٤) .

ويقول تعالى : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة المطففين – الآيات : ٢٢ – ٢٨ .
(٢) سورة الإنسان – الآية : ٢١ .
(٣) سورة الزخرف – الآية : ٧١ .
(٤) سورة الإنسان – الآيات : ١٥ – ٢٠ .
(٥) سورة مريم – الآية : ٦٢ .

وهكذا نجد الترغيب فى نعيم الجنة ينحو نحو طبيعة البيئة ، وأحسن ما يستعمل فيها ، وليس ينحو نحو أرقى ما يستعمل فى شتى العصور وشتى البلاد ؛ لأن الرغبة تتجه نحو المعروف والمألوف غالبًا ، ومع ذلك عمم القرآن الكريم فقال : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [1].

ويقول : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ وما تتمنون ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [2].

ويقول : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [3].

ويقول صلى الله عليه وسلم فى الحديث :

٣٢٤٤ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنَ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنَ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .

أهل الجنة :

يدخل الجنة بالدرجة الأولى سبعون ألفًا من أمة الإسلام بغير حساب، ومنهم عكاشة بن محصن مصداقًا للحديث :

---

(١) سورة الزخرف – الآية : ٧١.

(٢) سورة فصلت – الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) سورة السجدة – الآية : ١٧.

٣٢٤٦ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، لاَ يَسْقَمُونَ ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ ، وَلاَ يَبْصُقُونَ ، آنِيَتُــهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأَلُوَّةُ – قَالَ أَبُو الْيَمَانِ يَعْنِى الْعُودَ – وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ » .

٦٥٤١– وعن ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: « عُرِضَتْ عَلَىَّ الأُمَمُ ، فَأَخَذَ النَّبِىُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ ، وَالنَّبِىُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ ، وَالنَّبِىُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشَرَةُ ، وَالنَّبِىُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ ، وَالنَّبِىُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ ، فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، هَؤُلاَءِ أُمَّتِى ؟ قَالَ: لاَ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ . فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ . قَالَ : هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ ، وَهَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ ، لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ . قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : كَانُوا لاَ يَكْتَوُونَ ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . فَقَامَ إِلَيْه عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ . قَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ . قَالَ : « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » .

٦٥٤٢ – وعن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : « يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِى زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا ، تُضِىءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِىُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ . قَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » . ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه ،

ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ . فَقَالَ : « سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ » .

أبواب الجنة :

وللجنة ثمانية أبواب ، كل باب منها ينادى فيه على طائفة من المؤمنين عملوا نوعًا من الصالحات .

فمن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة . يصور هذا الحديث :

١٨٩٧ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ نُودِىَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرٌ . فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا عَلَى مَنْ دُعِىَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ : « نَعَمْ . وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » .

ويدخل الجنة من زادت حسناته على سيئاته .

ثم يدخل الجنة من دخل النار فجوزى على سيئاته ، وشملته الشفاعة، شفاعة الرسول ﷺ أو شفاعة أهله وأصحابه ، أو شفاعة الملائكة ، أو عفو الله وفضله وكرمه ، يصور هذه الطوائف الحديث :

٦٥٦٠ - عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ : مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ

حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا ، وَعَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقَوْنَ فِى نَهَرِ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ - أَوْ قَالَ - حَمِيَّةِ السَّيْلِ » . وَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً » .

٦٥٦٥ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا . فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا . فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقُولُ - ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ . فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ - ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِى اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلا . فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ - ائْتُوا مُوسَى الَّذِى كَلَّمَهُ اللَّهُ ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ - ائْتُوا عِيسَى ، فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَأْتُونِى ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأَحْمَدُ رَبِّى بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِى ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِى حَدًّا ، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِى الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِىَ فِى النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ » . وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا : أَىْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ .

كيف يقضى أهل الجنة أوقاتهم ؟

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا

﴿ يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ (١).

يقول المفسرون : فى شغل وتمتع بالنعيم الذى هم فيه ، فهم فى شغل عن التفكير فى أهلهم وأحبابهم الذين فى النار ، لا يذكرونهم حتى لا تتكدر سعادتهم ، وهم وأزواجهم فى أكل وشرب لما يشتهون ، يقال لهم : تمتعوا بسلام من جهة رب رحيم .

وقد أخرج ابن ماجه عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِى نَعِيمِهِمْ ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ . قَالَ : ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ قَالَ : فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَىْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِى دِيَارِهِمْ » .

ويقول تعالى : ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢) .

يتسامرون بعضهم مع بعض ، يقول بعضهم : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣) .

وأصحاب اليمين بعد أن يستقروا فى الجنات يتذكرون من كان معهم

---

(١) سورة يس – الآيات : ٥٥- ٥٧ .

(٢) سورة الرعد – الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) سورة الطور – الآيات : ٢٦- ٢٨ .

فى الدنيا من الكافرين ، فيرونهم فى جهنم ، فيقولون لهم تبكيتًا وتحسرًا وشماتــة : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ولا نخرج الزكاة ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ونسخر من المسلمين ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١) وهو الموت .

ويخبر الله عنهم فيقول : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٢).

ويقول : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (٣).

ويقول تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ

---

(١) سورة المدثر – الآيات : ٤٢ – ٤٧ .

(٢) سورة الصافات – الآيات : ٥٠– ٥٧ .

(٣) سورة الزمر – الآيتان : ٧٣ ، ٧٤ .

بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [١].

ويقول تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٢].

ونكرر القول أن أهل الجنة لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، فالأعرابى الذى اشتهى أن يزرع فى الجنة قيل له :

٧٥١٩ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ : « أَنَّ رَجُلا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِى الزَّرْعِ فَقَالَ : أَوَ لَسْتَ فِيمَا شِئْتَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ . فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَىْءٌ » . فَقَالَ الأَعْرَابِىُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَجِدُ هَذَا إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

نسبة أصحاب الجنة لأصحاب النار :

٦٥٣٠ - عَنْ أَبِى سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِى يَدَيْكَ . قَالَ : يَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ . فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ » . فَاشْتَدَّ ذَلِكَ

---

(١) سورة الأعراف – الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف – الآية : ٥٠ .

عَلَيْهِمْ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّنَا الرَّجُلُ ؟ قَالَ : « أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ - ثُمَّ قَالَ - وَالَّذِى نَفْسِى فِى يَدِهِ إِنِّى لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . قَالَ : فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِى نَفْسِى فِى يَدِهِ إِنِّى لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِى الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِى جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوِ الرَّقْمَةِ فِى ذِرَاعِ الْحِمَارِ » .

٦٥٢٩ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ فَيُقَالُ : هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، كَمْ أُخْرِجُ ؟ فَيَقُولُ : أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا ؟ قَالَ : « إِنَّ أُمَّتِى فِى الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِى الثَّوْرِ الأَسْوَدِ » .

٦٤٤٩ - عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « اطَّلَعْتُ فِى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » .

دخول الجنة بفضل الله ورحمته :

لو قال لك ملك : هذا القصر الكبير بما فيه من حدائق ونعم وطعام وشراب هو لك إن أعطيتنى درهمًا ، ثم أعطاك الدرهم فأعطيته له ، فأعطاك القصر بما فيه . هل يقال : إنك أخذت القصر بالثمن ؟ اللهم . لا.

وكذلك الجنة لو عاش إنسان فى دنياه مائة سنة ، ولو قضاها كلها فى عبادة وطاعة ، ولم يعص الله طرفة عين . هل تصلح هذه العبادة المحدودة أن تكون مقابلا لنعيم الجنة الخالد الذى لا يفنى ؟ والذى هو ما لاعين رأت

ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؟ وإذا كان الله تعالى هو الذى هداك إلى هذه الطاعات ، ومنحك القوة والصحة لأدائها هل يقبل منك أن تقول : أدخل الجنة بعملى وطاعتى ؟

يصور هذا المنظر ما ورد من أن الله تعالى يوم القيامة يقول لملائكته بعد أن تثقل حسنات مؤمن : أدخلوا عبدى هذا الجنة بفضلى ورحمتى . فيقول هذا العبد المطيع : بل بعملى يا رب . فيقول الله له : ارجع إلى الميزان . فتوضع حسناته وطاعاته كلها فى كفة ، وعين واحدة من عينيه فى الكفة الأخرى ، فترجح كفة العين ، فيقال له : طاعاتك لم تعدل شكر نعمة واحدة من النعم التى منحتها . ادخلوا عبدى النار بعمله ، فيقول : بل أدخلنى الجنة بفضلك ورحمتك .

فدخول الجنة بفضل ورحمة ، ودرجاتها ومنازلها بالعمل ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

والحديث الصحيح يصرح ويؤكد هذا الحكم فيقول :

٦٤٦٣ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَنْ يُنَجِّىَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ » . قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: « وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاغْدُوا وَرُوحُوا ، وَشَىْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ . وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا » . أى عملوا صباحًا وعصرًا وجزءًا من الليل .

ومع أن العمل لا يصلح عوضًا مقابلا لنعيم الجنة فإن الله تعالى سلط عليه النفس الأمارة بالسوء وإبليس وجنوده ، فقلَّ من يسلم من شركهما ، وقلَّ من يفلت من سلطانهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة الزخرف - الآية : ٧٢ .

٦٤٨٧ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ » .

وأخرج الحاكم وأبو داود والترمذى والنسائى قوله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ : انظُرْ إِلَيْهَا . فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فرأى سهولة دخولها ، فقال : فَوَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا . فَأَمَرَ الله الطريق إليها أن يمتلئ بالصعاب والتكاليف والمشاق ، وقال لجبريل : ارْجِعْ إِلَيْهَا ، فَرَجَعَ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ . لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . قَالَ : اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانظُرْ إِلَيْهَا . فنظر إليها فرأى ما حولها من عقبات تعوق الوصول إليها ، فرجع فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إلا بعد عنها ولم يَدْخُلْهَا . فَحَفَّهَا اللهُ بِالشَّهَوَاتِ ، وملأ طريقها بالمرغبات ، وما يستلذ من أمور الدنيا ، ثم قال لجبريل : ارْجِعْ إِلَيْهَا . فَرَجَعَ إِلَيْهَا ، ثم قَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ » .

فطريق النار سهل محبوب ، تيسره الغرائز والشهوات ، غرائز التسلط والسيطرة والتكبر والتجبر ، وطريق الجنة الحلم والتواضع والضعف ، وعبر عن هذا الحديث :

٤٨٥٠ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ . وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِى لاَ يَدْخُلُنِى إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ . قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِى أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِى . وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِى . وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ : قَطٍ قَطٍ قَطٍ . فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا » .

٦٤٤٩ - وعَنْ عمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبىِّ ﷺ قَالَ : « اطَّلَعْتُ فِى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » .

ويقول الحكماء : الفقير عن الخطر أبعد ؛ لأن فتنة الغنى أشد من فتنة الفقر ، ويقولون : ومن العصمة أن لا تجد .

النــار

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (١) .

الموت أول مرحلة من مراحل الآخرة ، وقد قلنا : من مات فقد قامت قيامته ، وغمرات الموت شدته ومعالجته بقبض الروح ، والملائكة باسطو أيديهم بعذاب الظالمين .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ (٢). ويقولون لهم تبكيتًا وإيلامًا نفسيًا : أخرجوا أنفسكم ، وسلموا أرواحكم . اليوم تبدءون جزاء كفركم وتواجهون

---

(١) سورة الأنعام – الآيتان : ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) سورة الأنفال – الآية : ٥٠ .

عذاب الذلة والهوان بسبب كفركم ، ثم يعرضون عليه مقعده من النار . ففى الحديث :

٦٥١٥ - عَنِ ابْـنِ عُمَرَ - رضى الله عنـهما - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدْوَةً وَعَشِيًّا ، إِمَّا النَّارُ وَإِمَّا الْجَنَّةُ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ » .

حقيقة النار :

عند الترمذى عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِى يُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » . قَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا » .

وعنده أيضًا عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِىَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ » .

وعنده أيضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » .

أصحاب النار :

أخرج الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ قال : « ... أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ : فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ - أى حاكم جبار - وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُعْطِى حَقَّ مَالِهِ ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ » .

وأكثر أهل النار النساء ، يصرح بذلك الحديث :

٣٠٤ - عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى أَضْحَى - أَوْ فِطْرٍ - إِلَى الْمُصَلَّى ، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ

النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّى أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ». فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ » . قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ » ؟ قُلْنَ : بَلَى . قَالَ : « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا ، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ » ؟ قُلْنَ : بَلَى . قَالَ « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا » .

وفى مسند أحمد قال رسول الله ﷺ : « قالت النار : ما لى يدخلنى الجبارون والمتكبرون ؟ قال لها : أنت عذابى أصيب بك من أشاء » .

وأهون أهل النار عذابًا يصوره الحديث :

٦٥٦١ – عن النُّعْمَان ﷺ قال : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِى مِنْهَا دِمَاغُهُ » .

وفى صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » .

وفى مسند أحمد : « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ أَوْ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ » .

عذاب أهل النار :

لما كانت الحساسية فى الجلد ، ولما كان الجلد يحترق من النار ويصير فحمًا ، فيفقد الإحساس قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا

سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ ﴾ (١) .

ولما كانت النار فى الدنيا تحرق جزءًا من الجسم الملاقى لها وتترك جزءًا بعيدًا عنها قال تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٢).

وقال : ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ﴾ (٣).

وقال : ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (٤).

وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٥) .

ويقول : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ ﴾ (٦) أى أغطية.

ويصورهم القرآن بصور الذلة والمهانة فيقول : ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ ﴾ فى أرجلهم ﴿ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ﴾ فى الزيت

---

(١) سورة النساء – الآية : ٥٦ .

(٢) سورة الزمر – الآية : ٦٠ .

(٣) سورة الزمر – الآية : ١٦ .

(٤) سورة الأحزاب – الآية : ٦٦ .

(٥) سورة فاطر – الآية : ٢٦ .

(٦) سورة الأعراف – الآية : ٤١ .

المغلى ﴿ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴾ [1] توقد بهم فتأكلهم ظاهرًا وباطنًا.

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ يحبس أولهم حتى يلحقهم آخرهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ ﴾ وقد كنا ندافع عنـكم ﴿ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ ناطق ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ ﴾ ويعتذروا ﴿ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴾ [2] مقبولي الأعذار .

ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [3].

ويقول الله تعالى : ﴿ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴾ [4].

ويقول : ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ

---

(١) سورة غافر – الآيتان : ٧١ ، ٧٢ .

(٢) سورة فصلت – الآيات : ١٩– ٢٤ .

(٣) سورة القمر – الآيتان : ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) سورة الرحمن – الآية : ٤١ .

﴿ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴾ [1] .

ويقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾ [2].

ويقول : ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝ يَٰلَيۡتَهَا ﴾ يا ليت الموتة التى متها ﴿ كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝ ﴾ وكانت نهاية أمرى ، يا ليتنى لم أبعث بعدها ، ولم ألق ما ألقاه ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝ ﴾ فيقول الله تعالى لملائكته ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ﴾ وشدوه بالأغلال ﴿ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ﴾ وأدخلوه وأحرقوه ﴿ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝ ﴾ وأدخلوه فيها ، وأدخلوها فيه ، فتدخل السلسلة من دبـــره وتخرج من فمه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝ ﴾[3] فلا هو يطعم المسكين ، ولا هو يحث غيره ليطعم المسكين .

ويقول تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ۝ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ ﴾ [4].

---

(١) سورة القمر – الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة يونس – الآية : ٢٧ .

(٣) سورة الحاقة – الآيات : ٢٥- ٣٤ .

(٤) سورة الشورى – الآيتان : ٤٤ ، ٤٥ .

ويقول : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ وتتحير وترتجف ولا تستقر ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين إلى الداعى فى ذل وخشوع ﴿ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ ﴾ ومنكسيها ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ ولا يرجع استقرار جفونهم ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [1]. خالية من الفهم والعقل لشدة الحيرة والدهشة .

ويقول : ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [2] .يقرن بعضهم ببعض فى سلسلة واحدة .

ويقول : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [3].

ويقول : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [4] .

ويقول : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [5] .

---

(١) سورة إبراهيم – الآيتان : ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) سورة إبراهيم – الآيتان : ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) سورة الطور – الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

(٤) سورة طه – الآية : ٧٤ .

(٥) سورة الإسراء – الآية : ٩٧ .

ويقول : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾[1].

ويقول : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[2].

ويقول : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾[3].

ويقول : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ أى ماء يغلى وصديد أهل

---

(١) سورة مريم – الآية : ٦٨ .

(٢) سورة طه – الآيات : ١٢٤ – ١٢٦ .

(٣) سورة ق – الآيات : ١٧ – ٢٨ .

النار ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ ونوع عذاب آخر من مثل هذا العذاب أجناس . ويقال لهم : ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ ﴾ أى جمع كثير من أتباعكم فى الضلال داخل معكم فى العذاب ، فيقول الرؤساء : ﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ ﴾ فيقول لهم الملائكة : ﴿ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ ﴾ قال الأتباع أى الفوج المقتحم للرؤساء ﴿ بَلْ أَنتُمْ ﴾ أحق بما قلتم لنا ﴿ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ ﴾ قدمتم هذا العذاب لنا ﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١) .

طعام أهل النار وشرابهم :

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾ طعام الظالم المجرم ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ كالزيت العكر وهو ﴿ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ كغلى السوائل على النار وهى فى غاية الحرارة ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ فجروه بعنف ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ﴾ إلى وسط جهنم ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾ ويقال له : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٢) يقولون له ذلك استهزاءً وتقريعًا .

---

(١) سورة ص – الآيات : ٥٥ –٦٤ .

(٢) سورة الدخان – الآيات : ٤٣ – ٤٩ .

ويقول : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ ﴾ والزقوم اسم شجرة معروفة عند العرب ، ورقها صغير ، شديدة المرارة ، كريهة الرائحة ، سائلها يشبه اللبن لكنه إذا أصاب جسد الإنسان تورم ، وتوجد فى أرض تهامة وفى البلاد المجدبة المجاورة للصحراء ﴿ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ﴾ لجوعهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ﴾ [1] أى لشرابًا ممزوجًا بماء يغلى .

ويقول : ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ ﴾ شجرة لها شوك ، لاصقة بالأرض ، وهى سم قاتل ، وهى أمر من الصبر وأنتن من الجيفة ، وأشد حرارة من النار ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ ﴾ [2] .

ويقول تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧ ﴾ [3] . قال العلماء : الغسلين ما يجرى من الجراح إذا غسلت ، يعنى الدم والماء الذى يسيل من الجروح ، والمقصود مجمع صديد أهل النار .

وعند الحاكم : « لو أن دلوًا من غسلين يراق فى الدنيا لأنتن بأهل الدنيا » .

---

(١) سورة الصافات – الآيات : ٦٢ – ٦٧ .

(٢) سورة الغاشية – الآيتان : ٦ ، ٧ .

(٣) سورة الحاقة – الآيات : ٣٥ – ٣٧ .

ويقول: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [1]

والحميم الماء يغلى ، والغساق ما يسيل من جلود أهل النار من الدم والصديد.

ويقول تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] .

لباس أهل النار :

يقول الله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3].

ويقول : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [4] .

كلام أهل النار

كلامهم مع الله وكلام الله معهم :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ

---

(١) سورة النبأ – الآيتان : ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) سورة إبراهيم – الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(٣) سورة الحج – الآيات : ١٩ – ٢٢ .

(٤) سورة إبراهيم – الآية : ٥٠ .

وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ (٢).

وقال الله سبحانه تعالى : ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٣).

ويقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا

---

(١) سورة فصلت – الآية : ٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية : ٦٧ .

(٣) سورة المؤمنون – الآيات : ١٠٣ – ١١٥ .

رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١) .

كلامهم مع الملائكة وكلام الملائكة معهم :

قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٤) .

كلامهم مع أهل الجنة وكلام أهل الجنة معهم :

قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا

---

(١) سورة فاطر – الآيتان : ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) سورة الزمر – الآيتان : ٧١ ، ٧٢ .

(٣) سورة غافر – الآيتان : ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) سورة الزخرف – الآيتان : ٧٧ ، ٧٨ .

مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [1] .

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [3] .

تبرؤ المتبوعين من التابعين :

قال تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ ورجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ

---

(١) سورة الأعراف – الآيتان : ٥٠ ، ٥١ .

(٢) سورة الأعراف – الآيتان : ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) سورة الصافات – الآيات : ٥١ – ٥٧ .

عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ ﴾ وقبلتموه ﴿ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بل مكركم في الليل والنهار ، وتزيينكم الكفر لنا ، وإرغامكم لنا ﴿ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ

---

(١) سورة البقرة – الآيتان : ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) سورة سبأ – الآيات : ٣١ – ٣٣ .

تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [4].

وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ

---

(١) سورة الصافات – الآية : ٢٧ – ٣٩ .

(٢) سورة غافر – الآيتان : ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) سورة إبراهيم – الآية : ٢١ .

(٤) سورة الفرقان – الآيات : ٢٧ – ٢٩ .

ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (1).

حتى الشيطان سيتبرأ من متبعيه ، يصور قصته قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (2).

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (3).

عقوبات معينة لمعاص خاصة :

وكثيرًا ما يكون الجزاء من جنس العمل .

١- فالمنتحر وقاتل نفسه يعطى يوم القيامة آلة من نار مشبهة الآلة التى قتل نفسه بها ، يصور ذلك الحديث :

عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ ، يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا . وَمَنْ شَرِبَ سُـمًّا ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا . وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ

---

(1) سورة الأعراف – الآيات : ٣٧ – ٣٩ .

(2) سورة إبراهيم – الآية : ٢٢ .

(3) سورة الزخرف – الآية : ٦٧ .

جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » .

فظاعة الانتحار

إرشادًا إلى أن الحياة هبة اللّه ، وأنه ينبغى أن تترك الروح لخالقها يسلبها متى يريد ويحملها الآلام إذا شاء ، يحذر الرسول ﷺ من الإقدام على التخلص من الحياة ، مهما كانت بواعثه ، ومهما قست بالمرء نوائب الزمان ، فمن المعلوم أن هذه الدنيا دار شقاء ، وليس للمصائب والمتاعب إلا الرجال ، وبقدر تحمل الرجل لكبار الأرزاء [أى المصائب] تكبر رجولته ، وبقدر جزعه وانهياره أمام بعضها يظهر ضعفه وجبنه .

وقد علمتنا التجارب أن طريق السعادة مفروش بالأشواك ، ومن أراد القمة تسلق الصعاب ، ودون الشهد إبر النحل ، وبالجهاد والصبر والتفويض يبلغ الإنسان ما يريد ، ومن ظن أنه بانتحاره يتخلص من الآلام فهو واهم ، لأنه إنما يدفع بنفسه من ألم صغير إلى ألم كبير ، ومن ضجر محدود ، وفى زمن قصير ، إلى ضجر غير محدود ، وفى زمن طويل .

إن الذى يقدم على الانتحار غير راض بالقضاء ، محارب للقدر ساخط على الفعَّال لما يريد ، يائس من روح اللّه ، وإنه لا ييأس من روح اللّه إلا القوم الكافرون ..ومن أجل هذا كانت عقوبته عند اللّه قاسية ، فمن قتل نفسه بحديدة ، أو ضرب نفسه بمثقل ، أو برصاص أو طعن نفسه بسكين أعد اللّه له حديدة من نار ، ليطعن بها بطنه ، كلما فجرها عادت كما كانت ، خالدًا مخلدًا على هذه الحال أبدًا ، ومن شرب سمًا فقتل نفسه ، أعد اللّه له يوم القيامة كأسًا من السم ، الذى يفوق سم الدنيا فى صعوبة مذاقه ، وشدة تأثيره وإيلامه كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم ، يكلف أن يتجرعه خالدًا مخلدًا على هذه الحال أبدًا ، ومن تردى من جبل أو قذف نفسه من شاهق ، فقتل نفسه ، نصب اللّه له يوم القيامة جبلا من نار ،

على واد من جهنم يكلف الصعود إليه ، ليهوى من الجبل فى نار جهنم ، خالدًا على هذه الحال أبدًا .

فليتدبر العاقل ، وليؤمن بالقضاء والقدر ، وليعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾ (١) .

وقد اقتصر هذا الحديث على ثلاث من طرق الانتحار وقتل النفس لما أنها هى التى كانت شائعة آنذاك ، فهى أمثلة فقط ، وليست للحصر ، فيقاس عليها : من تردى فى بحر فغرق ، ومن أشعل فى نفسه نارًا فاحترق . وقد جاءت بعض الروايات بطريقة أخرى غير الطرق الثلاث المذكورة فقد روى البخارى « الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار » كما جاءت بعض الروايات بلفظ العموم ، فقد روى فى الحديث الآتى : « ومن قتل نفسه بشىء فى الدنيا عذب به يوم القيامة » .

عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ (قَالَ حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللَّهُ لِلأَنْصَارِ . فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ . هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو . وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِه . فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ . فَمَرِضَ ، فَجَزِعَ فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ . فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِه . فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ . وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ : غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ قِيلَ لِي :

---

(١) سورة الطلاق – الآيتان : ٢ ، ٣ .

لَنْ نُصلِحَ منْكَ مَا أَفْسَدْتَ . فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ » .

وحاصل هذه القصة أن قدوم الطفيل بن عمرو الدوسى من وطنه باليمن إلى مكة ، وكان من وجهاء قومه ، فخافت قريش أن يتصل برسول اللَّه ﷺ فيسلم ، فحذرته منه بأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وبأنه ساحر إلخ ، فدفعه حب الاستطلاع إلى القرب من رسول اللَّه ﷺ من حيث لا يشعر ، فسمع منه بعض آيات القرآن الكريم ، فوقعت فى قلبه ، فلما انصرف رسول اللَّه ﷺ إلى بيته أدركه الطفيل ، فطلب منه أن يعرض عليه الإسلام فأسلم ، ورجع إلى قومه ، ودعاهم إلى الإسلام ، فكان ممن أجابه أبو هريرة ﷺ وجماعة من أهله ، وبعد مدة رجع إلى رسول اللَّه ﷺ، ورأى إيذاء قريش له وللمسلمين ، فعرض عليه أن يهاجر إلى اليمن ويقيم فى حصن دوس المنيع ، وفى حماية جماعة من قوم الطفيل المسلمين ، فاعتذر عن الهجرة رسول اللَّه ﷺ فقد كان ربه قد أراه أرض طيبة ، وأعلمه أنها أرض الهجرة ، ولم يكن قد أذن له فيها ، فعاد الطفيل إلى أهله ، فلما هاجر رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة ، وبعد بدر وأحد والخندق ، وفى عمرة القضية هاجر الطفيل بن عمرو ، ومعه رجل من قومه ، واستقر بهم المقام فى المدينة ، لكن هواءها لم يناسبهما ، فأصابتهما بعض الأمراض ، واشتد المرض بصاحبه ، وبرحت به الآلام ، فلم يطق عليها صبرًا ، فأخذ سهما عريضا حادًا كالسكين ، وقطع به أصابعه ، ففجر شرايينه ، فسال دمه بغزارة ، ولم ينقطع حتى مات ، فرآه الطفيل فى المنام ، رآه حسن الهيئة ، وقد كان يعلم أنه مات عاصيا بانتحاره ، فتعجب من حسن هيئته فقال له : ما صنع اللَّه بك؟ قال : غفر لى خطاياى بفضل هجرتى إلى رسوله ﷺ ، قال له : فما بالك تغطى يديك؟ قال : قيل لى : لن

نصلح منك ما أفسدت ، فبقى الأذى الذى فعلته ، بقى فى يدى . فقص الطفيل رؤياه على رسول اللَّه ﷺ. فعلم منه أنها حق ، فسأل رسولُ اللَّه ﷺ ربَّه أن تشمل المغفرة والرحمة اليدين ، كما شملت الرجل كله ، فقال اللهم وليديه فاغفر .

٢- ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١) .

يقول المفسرون : يفتح للكفار باب إلى الجنة ، فيقال لهم : هلموا . هلموا . فإذا وصلوا إلى الباب أغلق دونهم ، يفعل ذلك مرارًا ، حتى ان أحدهم يقال له : هلم . هلم . فما يأتى يأسا فيضحك المؤمنون .

وفى الحديث منظر لعقوبة مماثلة للجريمة :

٥٨٣٣ - عَنْ ثَابِتٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ : قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ : « مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِى الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِى الآخِرَةِ » .

٣- ويقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ

---

(١) سورة المطففين - الآيات : ٢٩ - ٣٦ .

فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] .

وفى الحديث صورة :

١٤٠٢ – عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « تَأْتِى الإبلُ عَلَى صَاحِبِهَا ، عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ ، إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا ، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا ، وَتَأْتِى الْغَنَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ ، إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا ، تَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا ، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا » . وَقَالَ : « وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى الْمَاءِ » . قَالَ : « وَلاَ يَأْتِى أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ . فَأَقُولُ : لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُ . وَلاَ يَأْتِى بِبَعِيرٍ ، يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ . فَأَقُولُ : لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُ » .

وقد يضاعف ثواب الحسنات أضعافًا كثيرة ، وقد يخفف عذاب كافر لحسنة عملها فى دنياه ، ففى البخارى أن أبا لهب يخفف عنه العذاب كل يوم اثنين ؛ لأنه أعتق ثوبية حين بشرته بمولد محمد ﷺ ، يشير إلى ذلك الحديث :

٥١٠١ – عن أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِى سُفْيَانَ – رضى الله عنها – أَنَّهَا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، انْكِحْ أُخْتِى بِنْتَ أَبِى سُفْيَانَ ، فَقَالَ : « أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكَ » ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِى فِى خَيْرٍ أُخْتِى . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « إِنَّ ذَلِكَ لاَ يَحِلُّ لِى » . قُلْتُ : فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِى سَلَمَةَ ؟ قَالَ : « بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : « لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِى فِى حَجْرِى مَا حَلَّتْ لِى إِنَّهَا لاَبْنَةُ أَخِى مِنَ الرَّضَاعَةِ ، أَرْضَعَتْنِى وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَىَّ بَنَاتِكُنَّ ،

---

(١) سورة التوبة – الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ .

وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ » . قَالَ عُرْوَةُ : وَثُوَيْبَةُ مَوْلاَةٌ لأَبِى لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا ، فَأَرْضَعَتِ النَّبِىَّ ﷺ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ ، أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ قَالَ لَهُ : مَاذَا لَقِيتَ ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ : لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّى سُقِيتُ فِى هَذِهِ بِعَتَاقَتِى ثُوَيْبَةَ .

وسيخفف عذاب أبى طالب عم النبى ﷺ لدفاعه عن رسول الله ﷺ وحمايته إياه من كفار قريش ، يصرح بذلك الحديث :

٦٢٠٨ - عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَىْءٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ هُوَ فِى ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، لَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِى الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » .

وقد يعمل قليلا ويجازى كثيرًا كالرجل الذى أسلم فى ميدان القتال فى غزوة أحد وقاتل واستشهد ، يحكى قصته الحديث :

٢٨٠٨ - عن الْبَرَاءِ ﷺ قال : أَتَى النَّبِىَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُقَاتِلُ وَأُسْلِمُ ؟ قَالَ : « أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ » . فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ قَاتَلَ ، فَقُتِلَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَمِلَ قَلِيلا وَأُجِرَ كَثِيرًا » .

وكان أبو هريرة يلغز به ويقول : أخبرنى عن رجل دخل الجنة ، وما صلى صلاة ؟

وكالرجل الذى رفع غصن شوك من الطريق فغفر الله له . يحكى قصته الحديث :

٢٤٧٢ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخَذَهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ » .

وكالرجل الذى سقى الكلب ، وهو يلهث ، يحكى قصته الحديث :

٢٣٦٣ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « بَيْنَا رَجُلٌ

يَمْشِى فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا هُو بِكَلْبٍ يَلْهَثُ ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِى بَلَغ بِى ، فَمَلأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، ثُمَّ رَقِىَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِى الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ : « فِى كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ » .

وكالمومس الذى سقت كلبًا يلهث ، ويحكى قصتها الحديث :

٣٤٦٧ – **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ** – أى يطوف ببئر – **كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِىٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِى إِسْرَائِيلَ ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا** – أى خفها – **فَسَقَتْهُ ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ » .**

وكالرجل الذى كان يداين الناس ، فيتجاوز عن المعسر ، فتجاوز الله عن سيئاته ، يحكى قصته الحديث :

٢٠٧٨ – **عن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ : تَجَاوَزُوا عَنْهُ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا ، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ » .**

آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً من النار

ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ . وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ . وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ! اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ . فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا . فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ . ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ . وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ . فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ . فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ . ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ

الْجَنَّةِ . فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ! وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لا . وَعِزَّتِكَ! فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ . فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ . فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ . انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ – وانفتحت – فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ . فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ . ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ! لا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ . فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ . فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ : تَمَنَّهْ . فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى . حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» . قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ : وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا . حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ : وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ . يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا حَفِظْتُ إِلا قَوْلَهُ : ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ : ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا الْجَنَّةَ .

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ : تَمَنَّ . فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى . فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَمَنَّيْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ فَيَقُولُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا الْجَنَّةَ . رَجُلٌ

يَخرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا . فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى . فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى . فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ . قَالَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى . فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى . فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا . أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا . قَالَ فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي (أَوْ أَتَضْحَكُ بِي) وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ » قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ . قَالَ فَكَانَ يُقَالُ : ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ . رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا . فَيُقَالُ لَهُ : انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ . قَالَ فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ . فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ . فَيُقَالُ لَهُ : أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ فَيُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ . فَيَتَمَنَّى . فَيُقَالُ لَهُ : لَكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا . قَالَ فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ » قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ . فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً . وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً . فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا . فَقَالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ . لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ . فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ! لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا . فَيَقُولُ : لا . يَا رَبِّ! وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا . وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ – يقدر عذره – لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ . فَيُدْنِيهِ مِنْهَا . فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا . ثُمَّ

تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا . لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا . فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا ؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا . وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ . لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا . فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا . ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا . لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا . فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ قَالَ : بَلَى . يَا رَبِّ! هَذِهِ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا . وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا . فَيُدْنِيهِ مِنْهَا . فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا ، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِيهَا . فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ : يَا رَبِّ! أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ » . فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَلا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ » .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ . وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ . فَقَالَ : أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا » وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ « فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ » إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ . وَزَادَ فِيهِ « وَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ سَلْ كَذَا وَكَذَا . فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ : هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ » قَالَ : « ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ . فَتَقُولانِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ . قَالَ فَيَقُولُ : مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ » .

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ : « سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ : مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ! كَيْفَ ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ ، رَبِّ! فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ . فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ ، رَبِّ! فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ . وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ . فَيَقُولُ : رَضِيتُ ، رَبِّ! قَالَ : رَبِّ! فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ وَغَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي . وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا . فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » قَالَ وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١).

وعَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ : إِنَّ مُوسَى عليه السلام سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا حَظًّا . وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا الْجَنَّةَ . وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا . رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَيُقَالُ : اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا . فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ . فَيُقَالُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، كَذَا وَكَذَا . وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، كَذَا وَكَذَا . فَيَقُولُ : نَعَمْ . لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ . وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ

---

(١) سورة السجدة – الآية : ١٧ .

سَيِّئَةٍ حَسَنَةً . فَيَقُولُ : رَبِّ : قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لا أَرَاهَا هَهُنَا » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .

يقول صلى اللّه عليه وسلم لأصحابه : إنى أعلم حال آخر أهل النار خروجا من النار ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، هو رجل يبقى مقبلا بوجهه على النار ، فيقول : يا رب ، اصرف وجهى عن النار ، فقد آذانى ريحها ، وأحرقنى حرها ، يا رب اقبلنى واعف عنى ، يا رب . أقر بذنبى وأعترف بتقصيرى ، وأرجو واسع رحمتك ، ويدعو اللّه ما شاء أن يدعوه ، فيقول اللّه لملائكته : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ، وارفعوا عنه كبارها ، فتعرض عليه صغار ذنوبه ، فيقال : عملتَ كذا وكذا يوم كذا ، وعملت كذا وكذا يوم كذا . فيقول : نعم يا رب ، وهو مشفق من كبار ذنوبه ، خائف أن تعرض عليه ويؤخذ بها ، فيقول : يا رب ، قد عملتُ أشياء لا أراها ههنا ؟ فيضحك رب العزة ويرضى عن عبده العاصى ، ويقول له : لعلك إن صرفت وجهك عن النار أن تسألنى غير ذلك ؟ فيقول: لا ، لا أسألك غيره ، ويقسم ويعطى ربه من العهود والمواثيق ما شاء اللّه، فيصرف وجهه عن النار ، فيقول لها : تبارك الذى نجانى منك «لقد أعطانى اللّه من الفضل والرحمة ما لم يعط أحدًا من الأولين ، والآخرين ، ويسكت ما شاء اللّه أن يسكت ، ثم ترفع له شجرة ذات ظل ظليل ، فيقول: يا رب . أدننى من هذه الشجرة ، لأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، فقد آذانى الحر والعطش ، فيقول له ربه : يابن آدم . لعلى إن أعطيتك ماتطلب أن تسألنى غيره ؟ فيقول : لا يا رب لا أسألك غيره ، ويعطى ربه من العهود والمواثيق ماشاء اللّه ، وربه يقبل عذره ، لأنه يرى شيئًا لا يستطيع الصبر عليه ، فيدنيه من الشجرة فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ويسكت ما شاء اللّه أن يسكت ، ثم ترفع له شجرة أحسن من الأولى ،

فيقول مقالته السابقة وربه يعذره فيدنيه منها ، ثم ترفع له شجرة ثالثة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين ، فيقول مقالته السابقة ، فيقول له ربه : ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ، ألم تعطنى عهودك ومواثيقك ألا تسأل غيره ؟ فيقول : لا أسألك غيره يا رب . ويعطى ربه من العهود والمواثيق ما شاء اللَّه ، فيدنيه منها ، فيسمع أصوات أهل الجنـــة ، أصـــواتًا كـــالمزامير ، فيتسمع ويتطلع فتنفتح أمامه أبواب الجنة فيرى ما فيها من نعيم وســـرور وحبور ، فيقول : يا رب أدخلنى الجنة ، فيقول له : يا ابن آدم : ما يقطع مسألتك منى ؟ أين عهودك ومواثيقك ألا تسأل ؟ فيقول : كرمك أوسع من مسألتى ، وفضلك لا ينقصه عطائى ، فيقول له : اذهب فادخـــل الجنـــة ، فيدخلها ، فيخيل إليه أنها ملأى ، وأن الناس قد أخـــذوا منـــازلهم فيهـــا ، فيرجع ، فيقول : يا رب ، وجدتها ملأى ، فيقول اللَّه تبارك وتعالى لـــه : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها مـــلأى . فيرجـــع ، فيقـــول : يا رب ، وجدتها ملأى فيقول اللَّه تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة ، فإذا دخلها قال اللَّه له : تمنه . اطلب تعط ، فيتمنى قـــصورًا وحـــدائق ، وطعامًا وشرابًا وفرشًا وأرائك ، فإذا ما طلب ما يشتهى ذكره ربه بأشـــياء لم يذكرها ، يقول له : اطلب كذا وكذا وكذا ، مما لا يخطر على قلب بشر ، حتى إذا ما انقضت به الأمانى قال اللَّه له : ذلك لك وعشرة أمثاله معـــه ، فيقول : يا رب ، لا أستحق شيئًا من ذلك ، لا تكاد عينى تصدق ما ترى ، ولا تكاد أذنى تصدق ما أسمع ، أكاد أغيب عن صوابى ، فيـــضحك رب العزة ويقول : إنى لا أستهزئ منك ، ولكنى على ما أشاء قادر ، فيـــدخل بيته ، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين ، فتحتضنانه وتقبلانه وتقولان له : الحمد للَّه الذى أحياك لنا ، وأحيانا لك ، فيعيش فى ســـعادة دائمـــة ، وسرور خالد ، وهو يقول فى نفسه : ما أعطى أحد مثل ما أعطيت .

ذلك أدنى أهل الجنة منزلة يوم القيامة ، أما أعلاهم منزلة فأولئك الذين اختارهم ربهم واصطفاهم ، لهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [١] فاللهم اجعلنا من أهل الجنة ، الناجين من النار ، ويسر لنا الموقف العظيم ، واهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

آمين ، آمين . آمين . رب العالمين .

(١) سورة السجدة – الآية : ١٧ .

فهرس الجزء الثانى عشر

طعام أهل النار وشرابهم ١٣٥٠

لباس أهل النار ١٣٥١